تاريخ

حمد بن محمد بن لعبون

الوائلي الحنبلي النجدي

رحمه الله تعالى

الناشر
مكتبة المعارف
محمد سعيد حسن الكمال
الطائف : شارع الكمال
ت : ٧٣٢٢٣١٤ / ٧٣٢٣٣٩٠ / ٧٣٨٠٧٢٥

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى بمكتبة الخانجى

الطبعة الأولى ١٣٥٧

الطبعة الثانية ١٤٠٨

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٨٦٧٨٥١

ترجمة ابن لُعْبون

(قبيل ١١٨٢ - ١٢٦٠ هـ = قبيل ١٧٦٨ - ١٨٤٤ م)

حَمَد بن محمد بن ناصر بن عثمان (لعبون) بن ناصر المدلجي الوائلي النجدي : فاضل من المشتغلين بالتاريخ .

من أهل بلدة « حرمة » بنجد [١] توفي والده (سنة ١١٨٢) وأُجلي عن حرمة (١١٩٣) فاستوطن القصب ، ثم « ثادق » حيث ولد ابنه محمد (الشاعر) [٢] واستقر حمد (سنة ١٢٣٨) في « التُّويم » من بلاد سدير ، واشتهر بنسبته إليها ، حتى تكرر في كتاب إبراهيم بن عيسى « تاريخ بعض الحوادث الواقعة بنجد - ط » تعريفه بساكن التويم .

وصنف سنة ١٢٥٥ كتابا في « تاريخ نجد - ط » ناقصا من أوله ، يعرف بتاريخ ابن لعبون .

وتولى بيت المال في سُدير للإمامين سعود الكبير وابنه عبد الله [٣] .

---

(١) في صحيح الأخبار لابن بليهد ٣ : ٤٢ كلمة عن بلدة « حرمة » وتخطئة ياقوت في قوله إنها بجانب « حمى ضِرِية » .

(٢) انظر ترجمته في الأعلام .

(٣) أفادني بكثير من مادة هذه الترجمة الأستاذ حمد الجاسر وانظر مجلته العرب ٥ : ٧٩٨ وعثمان بن بشر للخويطر ١٢ . انظر الأزهار النادية من أشعار البادية رقم ١٠ ديوان « ابن لعبون » . طبع ونشر مكتبة المعارف بالطائف .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصل اللهم على سيدنا محمد الصادق الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فقد سألنى من إجابته عليّ واجبة ، ومنته وصلته إليّ واصلة واصبة ، ابن العم الشفيق الذى بمنزلة الأخ الشقيق ، المؤيد من الله باللطف والعون الشيخ : ضاحى بن محمد بن إبراهيم بن عون ، أن أثبت له نسب قبيلته المسمين بآل مدلج طلبا منه لحفظ الأنساب ، وللمواصلة التى توجب الثواب .

فأجبته إلى ذلك ، وكتبت برسمه ما بلغنى وتلقيته من أشياخ القبيلة مثل : عبد الله بن أحمد بن فواز ، وحمد بن عبد الله بن مانع وغيرهما ، وما رأيته فى الوثائق بخط العلماء .

وأحببت أن أذكر قبل ذلك مقدمة تكون كالأساس فى البنيان ؛ ينتفع بها المنتهى فضلا عن المبتدىء فى هذا الشأن .

وأذكر فصولا تتعلق بالمقصود من الأنساب وتطلع ما غاب عن أكثر الطلاب على سبيل التلخيص والاختصار ، حاذفاً ذكر القائل والناقل فى جميع الأخبار إلا النزر القليل ؛ استغناء عن التطويل ، ملتقطاً له من كتب عديدة فى هذا الشأن معتمدة عند أهل الأذهان .

فأقول وأنا الفقير إلى الله الغنى حمد بن محمد بن ناصر بن عثمان بن ناصر بن حمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائلى الحنبلى .

أما المقدمة : فاعلم علمك الله البيان وأصلح لك الشان وصانك عن كل ما عاب وشان ، وأثبت لأصلك الفرع والأغصان :

إن الله تعالى لما أهبط آدم إلى الأرض ، كما ذكر ابن الجوزى وغيره ، أنه عاش ألف سنة ، وولدت له حواء أربعين بطناً توأما ، فى كل بطن ذكر وأنثى [أولهم قابيل وتوأمته] وتزاوجوا .

ولم يمت آدم حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين ألفا ؛ وانقرض نسلهم غير نسل شيث ، وهو خليفة أبيه .

[وكذا فى تاريخ ابن جرير أن حواء ولدت أربعين ولداً ، وقيل مائة وعشرين] .

وكان بين موت آدم وولادة نوح ألف وستمائة واثنان وأربعون سنة ، ومن الآباء نحو ثمانية فهو : نوح بن لامخ بن متوشلح بن أخنوخ بن برد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث .

قال قتادة : وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى .

ثم حدث فيهم الشرك فأرسل الله إليهم نوحاً فكذبوه وآذوه ، فأهلكهم الله بالطوفان وكان الطوفان عاماً على القول الصحيح ، والمجوس تنكره وبعضهم يخصه ببابل ، وأنجى نوحا وأصحاب السفينة ، وكان منهم أولاد نوح الثلاثة وهم : سام ، وحام ، ويافث ، وغيرهم ، وأكثر ما قيل أن أهل السفينة ثمانون رجلا ، وانقرض نسلهم إلا بنى نوح [والصحيح أن جميع أهل الأرض من ولد نوح لقوله تعالى : ﴿وجعلنا ذُرِّيَّته هُمُ البَاقِينَ﴾ (١)] .

فسام أبو العرب وفارس والروم ، وأما حام فهو أبو السودان على اختلاف أجناسهم من الحبش والنوبة والزيلع والبجا والدمادم والإفرنج والتكرور والكانم ، وأديانهم الكفر ، وعقائدهم مختلفة .

قال جالينوس : إنهم يختصون بعشر خصال تفلفل الشعر ، وخفة اللحي ، وانتشار المنخرين ، وغلظ الشفتين ، وتحديد الأسنان ، ونتن الجلد ، وسواد اللون ، وتشقق اليدين ، والرجلين ، وطول الذكر ، وكثرة الطرب ، وأجناسهم أكثر أهل الأرض ، وأكثر أوطانهم الخصب ، والريف ، وأوطانهم من سواحل النيل الجنوبية إلى حدود المشرق .

وأما يافث فهو أبو يأجوج ومأجوج ، وأبو الترك على اختلاف أجناسهم ، وقاعدة مملكتهم وسلطتهم إقليم الصين من بلاد المشرق .

---

(١) سورة الصافات الآية : ٧٧ .

ومنهم التتار الذين أهلكوا كثيراً من أهل بلاد الإسلام ، حتى وصلوا إلى بغداد وملكوا العراق ، وقتلوا الخليفة المستعصم العباسى .

واستقرت سلطتهم فيه إلى أن أبادهم الله ، وانخزل أيضا طائفة من الترك ، من المشرق من بلاد ماهان نحو خمسين ألف بيت ، مختارين للإسلام ، قاصدين بلاد الروم ، وجهاد الكفار مع سليمان طغرل ، فهلك فى الطريق .

وسار ابنه طغرل ، وابن ابنه عثمان بن طغرل ، حتى قدموا على سلطان بلاد الروم علاء الدين السلجوق ، المنسوب إلى الترك ، فأكرمهم وأذن لهم فى جهاد الكفار ثم توفى طغرل سنة ٦٨٩ . وكان أجلّ أولاده عثمان فأسند السلطان أموره إليه لما رأى نجدته وشجاعته وجده فى جهاد الكفار ، وأكرمه وبعث إليه بالراية السلطانية فلم يزل يتداولها بنوه إلى أن وصلت إلى سلطان الوقت محمود بن مصطفى الموجود حال التأريخ سنة ١٢٥٤ ، ومحمود بن عبد الحميد تمام ثلاثين سلطاناً أولهم عثمان .

وأما سام بن نوح فهو أبو العرب ، والروم ، وبنى إسرائيل ، وفارس ، وأغلب أوطانهم ومنازلهم جزيرة العرب ، وهى على ما ذكر فى القاموس ما أحاط بحر الهند ، وبحر الشام ، ثم دجلة والفرات ، أو ما بين عدن أبين إلى ظاهر الشام طولا ، ومن جدة إلى ريف العراق عرضا .

وحددها السيوطى فى قلائده فقال : اعلم أن مساكن العرب فى ابتداء الأمر كانت بجزيرة العرب الواقعة بين أوساط المعمور ، وأعدل أماكنه ، وأفضل بقاعه ، حيث الكعبة الحرام وتربة أشرف الخلق نبينا محمد ﷺ .

وهذه الجزيرة متسعة الأرجاء يحيط بها من الغرب بعض بادية الشام حيث البلقاء إلى أيلة ، ثم إلى القلزم الآخذ من أيلة حيث العقبة الموجودة بطريق حجاج مصر إلى الحجاز إلى أطراف اليمن حيث حِلّى ، وزُبيد ، وما داناهما .

ومن جهة الجنوب بحر الهند المتصل به بحر القلزم من جهة الجنوب إلى عدن إلى أطراف اليمن حيث بلاد مهرة على ظفار وما حولها .

ومن جهة المشرق بحر فارس الخارج من بحر الهند إلى جهة الشمال إلى بلاد البحرين ، ثم إلى البصرة ، ثم إلى الكوفة من بلاد العراق .

ومن جهة الشمال الفرات أخذاً من الكوفة على حدود العراق ، إلى عانة ، إلى بالس من بلاد الجزيرة الفراتية ، إلى البلقاء من برية الشام حيث وقع الابتداء .

ودور هذه الجزيرة فيما ذكره فى تقويم البلدان سبعة أشهر وأحد عشر يوماً تقريباً بسير الأثقال .

قال المدائنى وجزيرة العرب هذه تشتمل على خمسة أقسام : تهامة ، ونجد ، وحجاز ، وعروض ، ويمن اهـ .

(فصل) قال السيوطى : واعلم أن اليمن كان هو منازل العرب العاربة من عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت ، ومن فى معناهم ثم انتقلت ثمود منهم إلى الحِجْر من أرض الشام .

وكانوا به حتى هلكوا كما ورد به القرآن الكريم ، وهلك بقايا العاربة باليمن من عاد وغيرهم ، وخلفهم بنو قحطان بن عابر ، فعرفوا بعرب اليمن إلى الآن ، وبقوا فيه إلى أن خرج منه عمرو مزيقيا عند توقع سيل العرم وكانت أرض الحجاز منازل بنى عدنان إلى أن غزاهم بختنصّر ، ونقل من نقل منهم إلى الأنبار من بلاد العراق .

ولم تزل العرب بعد ذلك كله فى التنقل عن جزيرة العرب والانتشار فى الأقطار إلى أن كان الفتح الإسلامى ، فوغلوا فى البلاد إلى أن وصلوا إلى بلاد الترك وما داناها .

ونزل منهم طائفة بالجزيرة الفراتية وصاروا إلى أقصى المغرب ، وجزيرة

الأندلس ، وبلاد السودان ، وملأوا الآفاق ، وعمروا الأقطار ، وصار بعض عرب اليمن إلى الحجاز فأقاموا به وربما صار بعض عرب الحجاز إلى اليمن فأقاموا به وبقى منهم فى الحجاز واليمن على ذلك إلى الآن ، وتفرق بالأقطار منتشرون فى الآفاق ، وقد ملأوا ما بين الخافقين اهـ .

ثم إن بنى سام تناسلوا حتى انتهى النسب إلى عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام ، قيل : إن عابر هو النبي هود عليه السلام ومن ولدنى عابر لصلبه فالغ وقحطان فافترقت القبائل الإبراهيمية والقحطانية .

[وكان بين نوح وإبراهيم آباء يأتى ذكرهم فى عمود النسب النبوي ، ثم تفرقت قبائل العرب ، وبنى إسرائيل ، والروم ، وفارس ، من إبراهيم فإسماعيل أبو العرب سوى بنى قحطان على قول من يجعله قحطان ابن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح ، ولا خلاف أن عدنان من ولده .

وأما إسحق بن إبراهيم فهو أبو يعقوب المسمى إسرائيل ، فذريته بنو إسرائيل أنبياؤهم وأممهم .

وأما العيص بن إسحق فذريته الروم ، وفى قول بعضهم وفارس .

ولا خلاف أن عدنان من ولد إسماعيل ولكن الخلاف فى عدة الآباء الذين بين عدنان وإسماعيل ؛ فعد بعضهم بينهم آباء كثيرة ، وعد بعضهم سبعة .

والذى ذكره البيهقى قال عدنان بن أدد بن المقوم بن ناحور بن تيرح ابن يعرب بن يشجب بن ثابت بن إسماعيل .

وأما الذي ذكره الحلواني في شجرة النسب وهو المختار فهو : عدنان ابن أد بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار ابن إسماعيل .

والذى ذكر ابن إسحاق نحو ما ذكر البيهقى ، قال البيهقى : كان شيخنا أبو عبد الله يعنى الحاكم يقول نسبة رسول الله ﷺ صحيحة إلى عدنان وما وراء عدنان ، فليس فيه شيء يعتمد عليه .

قال القضاعى فى كتابه عيون المعارف : لقد رُوي أن النبى ﷺ قال : « لا تجاوزوا معد بن عدنان كذب النسابون » ثم قرأ : ﴿ وقُرُوناً بَيْنَ ذٰلِكَ كَثِيراً ﴾ (١) .

ولو شاء الله أن يعلمه علمه قال التوزرى : الصحيح أنه من قول ابن مسعود وعلى ، والذى عليه البخاري وغيره من العلماء موافقة ابن إسحق على رفع النسب ويسمون بنى إسماعيل العرب المستعربة .

وأما العرب العاربة فهم بنو قحطان بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام .

قال السيوطي وشذ بعضهم فقال : قحطان بن الهميسع بن يثمن ابن نبت بن إسماعيل فعلى قولهم تكون العرب كلها من ولد إسماعيل ، قال : ومن العرب من ينسب إلى قحطان نفسه إلى الآن] .

---

(١) سورة الفرقان الآية : ٣٨ .

فصـــل

فى ذكر بنى قحطان

وكان لقحطان عدة أولاد نحو أربعة عشر ، منهم : يعرب ، وجرهم ، وحضرموت ، وملك اليمن بعده ابنه يشجب وولد يشجب سبأ فملك اليمن بعد أبيه .

وكان لسبأ عدة أولاد ، واشتهر منهم خمسة ، ومن نسلهم جميع قبائل اليمن ، وهم : حمير ومن عقبه كانت ملوك اليمن من التبابعة ، ومن نسله قضاعة بن مالك بن حمير .

الثاني من أولاد سبأ : كهلان أبو القبائل الكثيرة منهم بنو جفنة وقبائل الأزد من الأوس والخزرج وغيرهم ، وقبائل همدان بن زيد وكندة ولخم وجذام وطيىء ومذحج وصدى وخولان وأنمار .

الثالث : عمرو بن سبأ وبعضهم يجعل من عقبه لخم وجذام .

فأما حمير فالمشهور منهم غير التبابعة والأذواء بنو قضاعة ؛ والمشهور من قبائل قضاعة ثمان عمائر :

العمارة الأولى : جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافى ابن قضاعة .

العمارة الثانية : بلى بن عمرو بن الحافى .

العمارة الثالثة : بنو كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافى ، ومنازلهم فى الجاهلية : دومة الجندل وتبوك ، وجاء الإسلام وعليهم الأكيدر .

العمارة الرابعة : بهرا بن عمرو بن الحافى .

العمارة الخامسة : تنوخ ، قال أبو عبيد هم ثلاثة بطون : نزار والأحلاف وفهم .

العمارة السادسة : نهد بن زيد بن سود بن أسلم بن الحافى .

العمارة السابعة : بنو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحافى .

العمارة الثامنة : جرم بن زبان بن حلوان بن عمران بن الحافى .

وأما كهلان بن سبأ قال فى العبر : والعدد فيهم أكثر من حمير فالمشهور منهم ثمان عمائر :

الأولى : جذام ، وجعلهم صاحب حماة من بنى عمرو بن سبأ هو وأخوه لخم ، ويتفرع من جذام أحد وعشرون بطنا ما بين صغار وكبار .

العمارة الثانية : من كهلان لخم ، ولخم وجذام عما كندة .

العمارة الثالثة : كندة وبلادهم باليمن .

العمارة الرابعة : طيىء بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد ابن كهلان .

ويتفرع من طيىء : أفخاذ وعمائر كثيرة ، فمن أفخاذهم : بنو سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن بن عتود بن عنين بن ثعل البطن المعروف ، ومنهم بنو عدى البطن بن أفلت بن سلسلة بن عمرو بن سلسلة ، ومن بنى عدى بنو ربيعة بن حازم بن على بن المفرج بن دغفل بن جراح بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن حرب بن الربيع بن علفي بن حوط بن عمرو بن خالد بن سعيد بن عدى .

قال الحمدانى : كان ربيعة هذا قد نشأ فى أيام الأتابك : زنكى وابنه العادل نور الدين محمود صاحب الشام ، ونبغ من بين العرب ، وولد له أربعة : فضل ، ومر ، ونابت ، ودغفل . وكلهم توارثوا أرض غسان بالشام وملكهم على العرب ثم صارت الرياسة لآل عيسى بن مهنا بن فضل بن ربيعة يتداولونها ، ومنازلهم من حمص إلى جعبر إلى الرحبة ، آخذين على شفاء الفرات إلى نواحى البصرة ، وينضم إليهم من سائر العرب : زعب ، وآل حرب ، وبنو كلب ، وكلاب ، وآل خالد حمص ، وخالد الحجاز

الذين منهم آل جناح ، والضبيبات من مياس ، والجبور ، والدعم ، والقرشة ، والثبوت ، والمعامرة ، والعلجان ، وفرقة من عائذ ، وآل يزيد والدواسر .

قال المقر بن فضل الله آل عيسى بن مهنا : هم ملوك البر ما بَعُدَ واقترب ، وسادات الناس ، ولم تصلح على غيرهم العرب وذكر فى الثناء عليهم كلاما طويلا .

الفخذ الثانى : آل مرا بن ربيعة قال فى مسالك الأبصار : وديارهم من بلاد الحيدور ، إلى الزرقاء ، إلى بصرى ، وشرقا إلى الحرة المعروفة بحرة كشب قرب مكة إلى شعباء ، إلى الهضب المعروف بهضب الراقي ، ويدخلهم فى إمرتهم من العرب حارثة ، وبنو لام ، ومدلج ، وبنو صخر ، وزبيد حوران ، ويأتيهم من عرب البرية آل ظفير ، والمفارجة ، وآل غزى ، وآل برجس ، والخرسان ، وآل مغيرة ، وآل فضل ، وبنو حسين الشرفاء ، والبطنان ، ومطير ، وعنزة ، وخثعم ، وعدوان ، وغيرهم .

الفخذ الثالث : آل عليّ : وهم بنو على بن حديثة بن غضبة بن فضل المقدم .

قال فى مسالك الأبصار : وهم وإن كانوا من ضئضىء آل فضل فقد انفردوا منهم حتى صاروا طائفة أخرى ، وديارهم مرج دمشق وغوطتها إلى الجوف والحيانية إلى الشبكة إلى تيماء ، ومن أفخاذ طيىء بنو سنبس بن معاوية بن جرول بن ثعل البطن المعروف بن عمرو بن الغوث بن طيىء ، وعدّ الحمدانى منهم ثلاثة أحياء وهم : الخزاعلة وبنو عبيد وجموح .

قال : وكان لهم شأن أيام بنى عبيد القداح ، ومن بطون طيىء أُبىّ ابن غنم بن حارثة الثعلى .

وولد لأبي سيف ومسعود وحارثة وحضنتهم أمة يقال لها غزية فغلبت عليهم .

قال الحمدانى : ومنهم قوم بالشام والعراق والحجاز وفيما بينها ، قال : وهم بطون وأفخاذ ترجع إلى أصلين هما البطنان وأجود ، فمن البطنان آل دعيج ، وآل روق ، وآل مسعود ، وآل تميم .

ومن الأجود : آل منيع ، وآل سعيد ، وآل سند ، وآل ابن الحرم ، وآل على وساعدة ، وبني حميد وبنى مالك ، وذكر ابن فضل الله أنهم تارة يعصون وتارة يطيعون .

قال فى مسالك الأبصار : ومنهم طائفة بطريق الحجيج البغدادى ، مياههم اليحموم ، واللغيف والمعينة .

قال : وذكر لى نصر بن برجس أن دار آل أجود الرخيمية والدفينة ولينة ، وزرود ، وديار آل عمرو بالجوف ، وديار بقاياهم : اللصيف ، واليحموم ، واللام ، والمعية ، ويليهم ديار ساعدة من الخضراء إلى برية زرود ، ثم آل خالد ، ودارهم : التنومة ، وحنيذ ، وأبو الديدان ، والقربع ، والكوارة إلى الرسوس إلى عنيزة إلى وضاخ إلى جبلة إلى السر إلى العودة إلى العشيرية إلى الأنجل . انتهى كلام صاحب المسالك .

ومن بنى ثعل : بنو عدى بن أخزم بن ربيعة بن أبى أخزم واسمه هزومة بن ثعل .

فمن بنى عدي : حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدى الجواد وابنه عدى وفد إلى النبى ﷺ ولم يرتد ، وشهد القادسية ، ومهران وقس الناطق ، والنخيلة ، ومعه اللواء ، ثم شهد الجمل مع علىّ ففقئت عينه ، وشهد صفين والنهروان ، ومات فى زمن المختار ، وهو ابن عشرين ومائة سنة وأوصى أن لا يصلى عليه المختار ، وقد ترجم عماد الدين الحافظ ابن كثير لحاتم فى تاريخه فنسبه .

ثم قال أبو سفانة : كان جواداً ممدوحاً فى الجاهلية ، وكذلك كان ابنه فى الإسلام وكانت لحاتم مآثر وأمور عجيبة ، وأخبار مستغربة فى كرمه ،

يطول ذكرها ، ولكنه لم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة ، وإنما كان قصده الرياء والسمعة والذكر .

قال الحافظ البزار : حدثنا محمد بن معمر حدثنا عبيد بن واقد حدثنا أبو نصر الناجي عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال : ذُكر حاتم عند النبى ﷺ فقال : « ذاك أراد أمراً فأدركه » حديث غريب .

قال الدارقطنى : تفرد به عبيد عن أبى مضر .

وقال الإمام أحمد بالإسناد عن عدي قال قلت يارسول الله : إن أبى كان يصل الرحم ، ويفعل ويفعل .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ يعنى الحاكم ، حدثنى أبو بكر محمد بن عبد الله بن يوسف العمانى ، حدثنا أبو سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد الكوفى ، حدثنا ضرار بن صرد ، حدثنا عاصم بن حميد عن أبي حمزة الثمالى ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن كميل بن زياد النخعي قال : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : يا سبحان الله ما أزهد كثيراً من الناس فى خير وعجباً لرجل يجيئه أخوه المسلم فى الحاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا ، فلو كان لا يرجو ثواباً ، ولا يخشى عذابا ، لكان ينبغى له أن يسارع فى مكارم الأخلاق ، فإنها تدل على سبيل النجاح .

وقام إليه رجل فقال : فداك أبى وأمى يا أمير المؤمنين أسمعته من رسول الله ﷺ قال : نعم . وما هو خير منه : لما أُوتى بسبايا طيىء ووقعت جارية حمراء لعساء ذلفاء هيطاء شماء الأنف معتدلة القامة والهامة ، درماء الكعبين ، خدلجة الساقين ، لفاء الفخذين ، خمصة الخصرين ، ضامرة الكشحين ، مصقولة المتنين .

فلما رأيتها أعجبت بها وقلت لأطلبن إلى رسول الله ﷺ يجعلها فى فيئى فلما تكلمت أنسيت جمالها لما رأيت من فصاحتها فقالت : يا محمد

إن رأيت أن تخلى عنا ، ولا تشمت بي أحياء العرب ، فإني ابنة سيد قومي ، وإن أبي كان يحمي الذمار ، ويفك العاني ، ويشبع الجائع ، ويكسى العاري ، ويقري الضيف ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم طيىء فقال النبي ﷺ : « يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا ، لو كان أبوك مؤمنا لترحمنا عليه ، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق والله يحب مكارم الأخلاق » فقام أبو بردة بن نيار فقال يارسول الله والله يحب مكارم الأخلاق ؟ فقال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق » انتهى ما ذكر ابن كثير .

ومن إخوان ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيىء ثعلبة ، وهو جرم رهط عامر بن جون ونبهان رهط زيد الخيل .

ومن طيىء بنو لام بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بنماللك ابن جدعى ، منهم : أوس بن حارثة بن لام وراس أخوه سعد أيضا .

ومن طيىء بحتر بن عتود .

ومن طيىء شمر قال ابن الكلبي شمر وزريق بطن من ثعل وهما ابنا عبد جذيمة بن زهير بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل ولقيس بن شمر هذا يقول امرؤ القيس :

* وهل أنا لاقٍ حيَّ قيسِ بنِ شمَّرا *

منهم عبدة بن امرىء القيس بن زيد بن عبد رضى بن خذيمة بن شمر أبو الحرنفش الشاعر وهو الذى أسرته الديلم وله حديث انتهى .

وقال امرؤ القيس :

وجاد قسيًّا فالطَّها فمُسطَّحاً وجَوًّا وروَّي نخلَ قيسِ بنِ شمَّرا

قلت وقد غلبت هذه النسبة إلى شمر على أهل جبل طيىء من البادية

وبعض الحاضرة ، والظاهر أنهم كلهم ليسوا من نسله ، ولا يبعد أن ينسب إليه غير من يجتمع معه ، فى عمود نسبه من سائر طيىء ، وكذلك من خالطهم أو نازلهم من جار أو حليف قد ينسب إليهم مع تطاول الأزمان .

قال فى العبر : كانت منازلهم فى اليمن فخرجوا على إثر خروج الأزد منه ، فنزلوا : سميراء وفيدا فى جوار بنى أسد ، ثم غلبوا بني أسد على أجا وسلمي وهما جبلان يعرفان بجبلى طيىء ، فاستمروا فيها ثم تفرقوا فى أول الإسلام فى الفتوحات .

قال ابن سعيد وفى بلادهم الآن أمم كثيرة : حجازًا وشاماً وعراقاً ، وهم أصحاب الرياسة فى العرب إلى الآن .

ومن عمائر كهلان : مذحج بن أدد أخو طيىء ومن مذحج سعد العشيرة ولد مذحج المذكور ، وإنما سمي سعد العشيرة لأنه بلغ ولده وولد ولده ثلاثمائة رجل يركبون معه ، وكان إذا سئل عنهم يقول هؤلاء عشيرتى وقاية لهم من العين ، ومن سعد العشيرة زبيد - بضم الزاى - .

ومنهم بنو منبه وهو زبيد بن صعب بن سعد العشيرة ويعرف بزبيد الأكبر ، وهو زبيد الحجاز .

قال فى المسالك : وعليهم درك الحاج المصري من الصفراء إلى الجحفة .

ومنهم زبيد الأصغر بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن زبيد الأكبر ، ومن هؤلاء عمرو بن معديكرب فارس العرب .

وذكر فى مسالك الأبصار فى عرب الحجاز حرباً ولم يعزهم إلى قبيلة ، قال : وهم ثلاثة بطون : بنو مسروح ، وبنو سالم ، وبنو عبد الله .

وأقول قد رأيت من عزا حرباً هؤلاء إلى عدنان .

قال أبو العباس أحمد بن عبد الله فى كتابه نهاية الأرب : بنو حرب

بطن من هلال بن عامر ذكرهم الحمدانى وقال : منازلهم الحجاز (١) .

ومن مذحج بنو مراد بن مذحج وله من الولد ناجية وزاهرة ، منهم بنو قرن الذين منهم أويس الزاهد قتل مع على يوم صفين ، ومن مراد ابن ملجم قاتل علىّ .

ومن مذحج أيضا النخع ومنهم أيضا جنب وصدي ورهي ، فمن جنب : معاوية بن الحارث بن منبه بن جنب ، كان إليه البيت والملك وهو الذى تزوج عبيدة بنت مهلهل بن ربيعة الوائلى وفيها يقول مهلهل :

أنكحها فقدها الأراقم فى جنبٍ وكان الحباءُ من أدَم
لو بأبانينَ جاء يخطبُها خضب ما أنف خاطب بدم

واسم بنت مهلهل عبيدة وإليها نسب قبائل من جنب وتزوجها بعد معاوية روح بن مدرك بن عبد الحميد بن مدرك جد آل ضيغم بن منيف .

وقيل : إنهم من نزار بن عنز بن وائل دخلوا فى نسب جنب لأن أمهم عبيدة .

ومن مذحج عنس منهم الأسود الذى تنبأ ، ومن إخوة مذحج الأشعر وهو نبت بن أدد جدّ الأشعرين .

ومن أعظم عمائر كهلان : الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وهم من أعظم الأحياء ، فقد قسمهم الجوهرى إلى ثلاثة أقسام : أزد شنوءة ، وهم بنو نصر بن الأزد ، وشنوءة لقبه ، وأزد السراة وهو موضع باليمن ، نزل فيه فرق منهم ، وأزد عمان نزلها طائفة منهم ومن ملوكهم عبد وجيفر اللذان كتب إليهم النبى ﷺ .

ومن أعظم ملوكهم : بنو جفنة بن عمرو بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن الزاد بن الأزد ، وهم ملوك الشام ، وأخو جفنة محرق أول من عاقب بالنار وثعلبة العنقاء ، وحارثة وإخوتهم

(١) هكذا فى الأصلين ويأتى ذكرهم فى موضعه الأليق به بأبسط من هذا .

ويدعون غسان وجماع غسان إلى مازن الزاد وإنما غسان ماء شربوا منه بين زبيد ورمع قال حسان :

إما سألتَ فإنَّا معشرٌ نُجُبٌ ‏ ‏ ‏ الأزدُ نِسْبَتُنا والماءُ غسَّانُ

وأول من ملك منهم جفنة قال صاحب حماة وذلك قبل الإسلام بما يزيد على أربعمائة سنة وبقي بأيديهم إلى أن كان آخرهم جبلة بن الأيهم فى زمن نبينا ﷺ وهو الذى أسلم ثم تنصر فى أيام عمر وكان طوله اثنا عشر شبراً وفيهم يقول حسان :

لله درُّ عِصابةٍ نادَمتُهُمْ ‏ ‏ ‏ يومًا بِجلِّقَ في الزَّمانِ الأوَّلِ
أولادُ جَفْنةَ حَوْلَ قبرِ أبيهِمُ ‏ ‏ ‏ قبْرُ ابنِ ماريةَ الكَريمِ المُفْضِلِ
يَسْقُونَ مَنْ وردَ البَرِيضَ عليْهِمُ ‏ ‏ ‏ بَرَدَى يُصفِّقُ بالرَّحيقِ السَّلْسَلِ
بِيضُ الوُجوهِ كريمةٌ أحسَابُهم ‏ ‏ ‏ شُمُّ الأُنوفِ من الطِّرازِ الأَوْلِ

ومن قبائل الأزد الأنصار : وهم من غسان ، وهما الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمر ، ومزيقيا بن عامر ماء السماء المتقدم ، وأمهما قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة وولد للخزرج عدة أولاد تفرعت قبائلهم منهم .

وأما الأوس فلم يكن له إلا ابن واحد وهو مالك ومن مالك تفرعت قبائل الأوس .

قال الحافظ ابن كثير فى تاريخه البداية والنهاية .

قال الحافظ أبو بكر الخرائطى : حدثنا عبد الله بن أبى سعيد ، حدثنا حازم بن عقال بن حبيب بن المنذر بن أبى الحصين بن السموءل بن عاديا الغسانى قال : لما حضرت الأوس بن حارثة الوفاة اجتمع إليه قومه من غسان فقالوا : إنه قد حضر من أمر الله ما ترى وقد كنا نأمرك بالتزوج فى شبابك ، وهذا أخوك الخزرج له خمسة بنين وليس لك ولد غير مالك ، فقال ليس يهلك هالك ترك مثل مالك إن الذى يخرج النار من الوثيمة قادر

على أن يجعل لمالك نسلا ورجالا بسلا ، وكل إلى الموت ، ثم أقبل على مالك فقال : أيْ بُنَيّ المنية ولا الدنية ، العقاب ولا العتاب ، التجلد ولا التبلد ، القبر خير من الفقر إنه من قل ذل .

ومن كرم الكريم الدفع عن الحريم ، والدهر يومان : فيوم لك ، ويوم عليك . فإن كان لك فلا تبطر ، وإن كان عليك فاصطبر ، وكلاهما سيخسر ليس يغلب منهما المليك المتوج ولا اللئيم المعلج سلم ليوميك حياك ربك ثم أنشأ يقول :

شهِدتُ السَّبَايَا يومَ آلِ محرِّقٍ ... وأدركَ عُمْرِي صيحةَ اللهِ في الْحِجْرِ
فلم أرَ ذَا مُلْكٍ فى الناسِ واحدًا ... ولا سوقةً إلَّا إلى الموتِ والقبرِ
فَعَلَّ الذِى أَرْدَى ثمودًا وجُرْهُماً ... سَيُعْقِبُ لى نَسْلًا إلى آخرِ الدهْرِ
تَقَرُّ بهِمْ فى آلِ عَمْرِو بنِ عامرٍ ... عُيونٌ لدَى الداعِي إلى طلبِ الوترِ
فإن تكنِ الأيامُ أبلين جِدَّتِي ... وشيَّبن رأسِي والمَشيبُ معَ العمْرِ
فإنَّ لنَا ربًّا علَا فوقَ عرشِهِ ... عليماً بما يأتى من الخيرِ والشرِّ
ألَمْ يأتِ قومِي أنَّ للهِ دعوةً ... يفوزُ بهَا أهلُ العبادةِ والبرِّ
إذا بُعِثَ المبعوثُ مِنْ آلِ غالبٍ ... بمكَّةَ فِيما بينَ مكةَ والْحِجْرِ
هُنالِكَ تَبغُوا نصرَهُ بِبِلادِكُمْ ... بَنِى عامرٍ إنَّ السعادةَ فى النَّصْرِ

قال ثم قضى فى ساعته انتهى نقل ابن كثير .

ومن بطون كهلان الكبار : خزاعة وهو عمرو بن لحي ، وهو ربيعة ابن حارثة بن عمر ، ومزيقيا بن عامر ، وهو الذى غير دين إبراهيم ، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان ، ومنه تفرقت خزاعة .

وإنما صارت الحجابة إليه من قبل أمه فهيرة بنت عامر بن حارث بن مضاض الجرهمى فحجب عمرو ، وبنوه ، إلى أن صارت إلى أبى غبشان فسكر يوما ، وقد شرب هو وقصى بن كعب بن لؤى فابتاع قصى منه مفاتيح البيت بزق خمر ، ودفعها قصىّ إلى ابنه عبد الدار فقام عند البيت ،

ونادى : يا بنى إسماعيل قد رد الله عليكم مفاتيح بيت أبيكم ، وأفاق أبو غبشان فندم ، وضربت العرب المثل بذلك ، فقيل : أخسر من صفقة أبي غبشان .

ومن بطون كهلان : همدان بن مالك بن زيد بن ربيعة بن الخيار بن زيد بن كهلان ، منهم : حاشذ وبكيل ابنا جشم بن خيوان بن نوف بن همدان ، ومن هذين البطنين تفرقت همدان ، منهم : بنو يام بن أصفى بن رافع بن مالك بن جشم فولد يام جشم ومذكر وولد مذكر بن يام هبرة ومواجداً ، وهم الأحلاف والعنز فتحالفا عليه .

ومنهم : وادعة البطن بن عمرو بن عامر بن شاخ بن رافع ، ومنهم : آل ذى رعين ، ومنهم : أرحب بن مالك بن بكيل ، ومنهم : بنو السبيع من حاشد الذين منهم أبو إسحق السبيعي عمرو بن عبد الله الفقيه ، وبنو خيوان الذين دفع إليهم ابن لحي يعوق ، ومنهم : بنو وادعة .

ومن كهلان بنو أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث ؛ وقد ذكر فى العبر : أنه لما تكاثر بنو إسماعيل فصارت رياسة الحرم لمضر مضى أنمار بن نزار إلى اليمن فتناسل بنوه بها فعد فى اليمانية ، وعليه ينطبق ما حكاه الجوهرى فولد أنمار عبقر والغوث ، وصهيب ، وخزيمة ، وإخوة لهم وأمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة وبها يعرفون ، وكان بلادهم مع إخوتهم خثعم ؛ ومن بجيلة بنو قسر واسمه مالك بن عبقر ، ومن بطونهم عرينة بن نذير بن قسر .

وأما خثعم أخو بجيلة فاسمه أفيل بن أنمار وبلادهم مع إخوتهم بجيلة بسروات اليمن ، والحجاز إلى تبالة .

ومنهم : بنو أكلب بن عفرس بن حلف بن خثعم .

ومنهم ناهس وشهران ابنا عفرس إليهما العدد والشرف ، وكود بن عفرس والفزع بن شهران بطن وبنو حرب ، وهو أوس بن وهب الله بن شهران .

ومنهم : بنو عرفجة ابن كعب بن مالك بن قحافة البطن بن عامر ابن ربيعة بن عامر بن سعد بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران وعرفجة أم كعب .

ومن قحافة : عبد الله بن مالك ولى الصوائف أربعين سنة لمعاوية وغيره إلى زمن سليمان بن عبد الملك ، وفيه مات وكسر على قبره أربعون لواء .

ومنهم : جليحة والريث ومبشر أبناء أكلب بن ربيعة بن عفرس .

ومنهم : جشم بن حارثة بن سعد بن عامر بن تيم الله البطن ، وولد جليحة بن أكلب واهب وشهران .

ومن خثعم أيضا : بنو منبه ، ومعاوية ، وآل مهدى ، ونصر ، وبنو حاتم ، وآل مدركة ، وآل زياد .

ومنازل الجميع بيشة وما حولها ، وبلادهم بلاد خير وزرع وفواكه كثيرة ، وأكثر ميرة مكة من الحنطة والشعير ، وغيرهما من بلادهم .

ومن كهلان قبائل كثيرة لم نذكرهم من الأزد وغيرهم ، مثل غامد وزهران ودوس بن عدنان وعك بن عدنان وقبائل كندة ، وبنو الحارث بن كعب ، ملوك نجران الذين من أشرافهم بنو عبد المدان ، وهو عمرو بن الديان بن قطن بن زياد البطن والنخع ، وبنو جعفى وأود وزبيد ابنا صعب انتهى ما اختصرناه من أنساب قحطان .

وأما بنو إسماعيل

فإن الذى بين إسماعيل وعدنان من الآباء مختلف فيه خلافاً كثيراً إذا تقرر ذلك فعدنان هو شعب نسب العرب المستعربة الذى تفرع منه قبائلها وعمائرها وبطونها وأفخاذها وفصائلها .

وقد ذكر فى العبر : أن جميع الموجودين من ولد إسماعيل من نسله ، قال ومواطن بنى عدنان مختصة بنجد ، وكلها بادية رحالة إلا قريشا بمكة ونجد ، قال السهيلي : ولا يشارك بنى عدنان فى أرض نجد أحد من قحطان إلا طيىء من كهلان .

ثم افترق بنو عدنان فى تهامة الحجاز ، ثم العراق والجزيرة الفراتية ، وولد لعدنان معد ، وولد لمعد نزار ، وولد لنزار أربعة : مضر ، وربيعة ، وإياد ، وأنمار ، ومن مضر تفرعت أكثر القبائل العدنانية وهم : بنو إلياس ابن مضر ، وبنو قيس عيلان بن مضر ، وخندق اسم امرأة إلياس ، عرف بنوه بها .

وكان لإلياس من الولد : مدركة على عمود النسب وطابخة وقمعة ، وولد مدركة : خزيمة وهذيلا ، وولد خزيمة : كنانة أبا القبائل المشهورة ، وأسداً أبا بنى أسد فولد كنانة النضر على عمود النسب وعبد مناة .

ومن كنانة : بنو ليث ، وضمرة ابنا بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وبنو الهون ، وسائر الأحابيش ؛ وبنو مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة المعروفون بالقيافة ، وبنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة .

وفيهم يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه لبعض من كان معه : لوددت أن لى بألف منكم سبعة من بني فراس ، ومنهم : بنو الديل بن بكر ، ومنهم : بنو غفار بن مليل بن ضمرة ، رهط أبي ذر ، وأبى بصرة ، وأبى سريحة ، وأبى اللحم خلف ابن مالك صاحب رسول الله ﷺ .

ومن بني ليث : يعمر الشداخ بطن وهو الذى شدخ الدماء بين قريش وأسد وخزاعة .

ومن كنانة : بنو جذيمة الذين قتلهم خالد بن الوليد .

ومن كنانة : قريش وهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وقريش لقب عليه لشدته تشبيها بدابة فى البحر يقال لها قريش ، أو لغير ذلك ، وقيل قريش النضر بن كنانة والذين عليه الجمهور الأول .

فمن بطونهم : بنو عدى بن كعب بن لؤى رهط عمر بن

الخطاب ، وبنو سهم رهط عمرو بن العاص ، وبنو تيم بن مرة رهط أبي بكر وطلحة ، وبنو زهرة بن كلاب رهط عبد الرحمن بن عوف ، وسعد ابن أبي وقاص ، وبنو أسد بن عبد العزى رهط الزبير ، وبنو عبد الدار الحجبة ، وبنو أمية بن عبد شمس بن مناة وبنو مخزوم بن يقظة ، وبنو هشام ابن عبد مناة ؛ والمصطفون من قريش بنو هاشم بن عبد مناة .

وبالجملة فقريش قد ملأت الأقطار وانتشرت فى الآفاق ، وأنسابهم مشهورة فى السير والتواريخ يجدها من طلبها هؤلاء المنسوبون إلى مدركة بن إلياس بن مضر .

وأما أخوه طابخة بن إلياس فهو جد بني تميم ، والرباب ، وضبة ، فإن تميما هو ابن مر بن أد بن طابخة ، وهو أبو القبائل الكثيرة .

قال فى شرح ذات الفروع : كان تميم فى الفترة التى بين سليمان وعيسى عليهما السلام .

وقد ذكر أنه فى زمن الإسكندر ، وأنه يلى شرطته ، وكان يطلب الحنيفية ، وينكر عبادة الأصنام ، وكان فى زمن عمرو بن لحي ، وذكر أنه أدرك عيسى بعد أن مضى من عمره دهر طويل ، وأن عيسى سأله عن نفسه ودينه ، فأخبره فقال : هل تستطيع أن تصحبنى ؟ قال : نعم يارسول الله ، قال : أنت وزيرى وأخى ومضيا معا فلم يزل معه حتى رفع ثم مضى إلى اليمن يسيح ومعه ابن أخيه المعافر بن يعفر بن مر فلم يزل بها حتى مات ، وكان عمره ستمائة سنة وهو وكعب بن لؤى فى زمن واحد ومات فى بلد يقال لها ريمام .

وأبناء تميم زيد مناة وعمرو والحارث فولد زيد مناة مالكا وولد مالك حنظلة أبا القبائل الكثيرة وأشرفهم بنو ابنه دارم بن مالك بن حنظلة .

ومنهم أبو سود وعوف ابنا مالك بن حنظلة يقال لهم بنو طهية ، ويتفرع من حنظلة أفخاذ كثيرة ومن أعظمهم بنو يربوع بن حنظلة وكانت

الردافة في الجاهلية لهم لأنه لم يكن فى العرب أكثر غارة على ملوك الحيرة منهم ، وصالحوهم على أن جعلوا لهم الردافة ويكفوا عن أهل العراق ، قال فى الصحاح : الردافة أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه فإذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس وإذا غزا الملك قعد فى موضعه وكان خليفته وإذا عادت كتيبة أخذ الردف المرباع .

ومنهم عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع ردف النعمان .

ومنهم معقل بن قيس من رجال أهل الكوفة وكان مع علىّ فوجهه إلى بني سامة فقتل منهم وسبى ، وذكر المبرد أن المستورد الخارجى خرج على المغيرة بن شعبة وهو والى الكوفة فوجه إليهم معقلا فدعاه المستورد إلى المبارزة وقال : علام يقتل الناس بيني وبينك فقال معقل النصف سألت فخرج إليه فاختلفا بينهما ضربتين فخر كل منهما ميتا .

ومنهم مالك ومتمم ابنا نويرة قتل مالك يوم البطاح ، ومنهم بنو كليب بن يربوع الذين منهم جرير الشاعر .

وأما بنو سعد بن زيد مناة بن تميم فلهم بطون كثيرة أيضا ، منهم بنو منقر بن عبيد بن مقاعس الذين منهم قيس بن عاصم الذى قد رأس وفد على النبى ﷺ فقال هذا سيد أهل الوبر ، وعمرو بن الأهتم وفد أيضا ، ومن ولده خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم .

ومن بني مرة بن عبيد الأحنف بن قيس وهو الضحاك بن قيس أدرك عهد النبى ﷺ ولم يصحبه ، قال ابن قتيبة لما دعا النبى ﷺ بنى تميم إلى الإسلام كان الأحنف فيهم ولم يجيبوا ، فقال الأحنف : إنه ليدعوكم إلى مكارم الأخلاق وينهاكم عن ملومها وأسلم ولم يفد على النبى ﷺ فلما كان زمان عمر وفد إليه وكان من أجل التابعين وأكابرهم وكان موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم وشهد صفين مع علي وشهد بعض فتوحات خراسان ؛ ولما استقر الأمر لمعاوية دخل عليه يوما فقال : والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين

إلا كان حزازة فى قلبي إلي يوم القيامة فقال الأحنف ، والله يا معاوية إن القلوب التى أبغضناك بها لفى صدورنا وإن السيوف التى قاتلناك بها لفى أغمادها وإن تدن من الحرب فتراً ندنُ منها شبرا وإن تمش إليها نهرول ، ثم خرج وكانت أخت معاوية من وراء الحجاب تسمع فقالت يا أمير المؤمنين : من هذا الذى يتهدد ويتوعد فقال : هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من بنى تميم لا يدرون فيم غضب .

وروى أن معاوية لما نصب ولده يزيد لولاية العهد أقعده فى قبة حمراء فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون إلى يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ، ثم رجع إلى معاوية وقال : يا أمير المؤمنين اعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها والأحنف جالس فقال معاوية فما لك لا تقول ياأبا بحر ؟ فقال : أخاف الله إن كذبت وأخافكم إن صدقت فقال معاوية : جزاك الله عن الطاعة خيرا وأمر له بألوف ، فلما خرج لقيه ذلك الرجل بالباب فقال : يا أبا بحر إنى لأعلم أن شر ما خلق الله هذا وابنه ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال فليس نطمع فى استخراجها إلا بما سمعت ، فقال له الأحنف : أمسك عليك فإن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها .

ومن كلامه فى ثلاث خصال ما أقولهن إلا ليعتبر معتبر : ما دخلت بين اثنين قط حتى يدخلاني بينهما ، ولا أتيت باب أحد من هؤلاء ما لم أدع إليه – يعنى الملوك – ولا حللت حبوتي إلى ما يقوم الناس إليه .

ومن كلامه : ألا أدلكم على المحمدة بلا مزرية الخلق السجيح والكف عن القبيح ألا أخبركم بأدوى الداء ، الخلق الدنىّ واللسان البذىّ ؟

ومن كلامه : ما خان شريف ، ولا كذب عاقل ، ولا اغتاب مؤمن ، وقال : ما ادخرت الآباء للأبناء ، ولا أبقت الموتى للأحياء ، أفضل من اصطناع المعروف عند ذوى الأحساب والآداب ، وقال : جنبوا مجلسنا

ذكر الطعام والنساء فإني أبغض الرجل يكون وصّافا لفرجه وبطنه ، وإن من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه ، وقال الأحنف أيضا : وجدت الحلم أنصر لى من الرجال .

قال الماوردى وصدق : لأن من حلم كان الناس أنصاره وقال له رجل : إن قلت لى كلمة لتسمعن عشرا فقال لكنك لو قلت عشرا لم تسمع منى واحدة ؛ وسبه رجل وهو يماشيه الطريق فلما قرب من المنزل وقف فقال : يا هذا إن كان بقى معك شىء فقله ها هنا فإنى أخاف أن يسمعك فتيان الحى فيؤذوك .

وقال الأحنف : تعلمت الحلم من قيس بن عاصم ، إنى لجالس معه وهو يحدثنا إذ جاءه جماعة يحملون قتيلا ومعهم رجل مأسور فإذا القتيل ولده والمأسور أخوه فقيل : هذا قتل هذا ، فوالله ما قطع حديثه ولا حل حبوته حتى فرغ من منطقه ثم أنشد :

أقولُ للنفسِ تَأْسَاءً وتَعْزِيةً إحدَى يديَّ أصابَتنِى ولم تُرِدِ
كِلَاهُما خَلَفٌ مِنْ فقْدِ صاحِبِهِ هذَا أخِى حِينَ أدْعُوهُ وذَا ولَدِى

ثم التفت إلى بعض ولده فقال : قم فأطلق عمك ووارِ أخاك وسُق إلى أمه مائة من الإبل فإنها غريبة ، ومن بنى سعد عطارد وبهدلة وقريع أبو جعفر الملقب بأنف الناقة .

وأما عمرو بن تميم فولده العنبر والحارث الحبط وولده الحبطات ، منهم : عباد بن الحصين بن يزيد بن عمرو بن أوس بن سيف بن عزم بن حلزة بن نيار بن سعد بن الحارث الحبط كان أحد فرسان تميم فى الإسلام ، وهو صاحب عبادان المرابط وابنه المسور الذى قام بأمر تميم أيام الفتنة حيث قتل الوليد بن يزيد وابن ابنه عباد بن المسور .

ومنهم : بنو مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، رهط قطرة بن الفجأة الخارجي ، ومن بنى العنبر خالد بن ربيعة بن رقيع بن سلمة بن صلاءة بن

عبدة بن عدى بن جندب بن العنبر الذى نسب إليه الرقيعي الماء بطريق مكة إلى البصرة ، وكان ربيعة بن رقيع أحد المنادين من وراء الحجرات وينسب إلى عمرو بطون كثيرة وإلى تميم منهم قبائل فى جبل طيىء وقبائل فى نواحي العراق والبصرة واختلطوا بأهل السواد والجزائر وخلطهم غيرهم فالله أعلم هل هم من تميم هؤلاء أو من تميم يذكر فى نسب طيء أو من غيرهم ودخل فيهم من ليس منهم إلا تميم نجد واليمامة فإنهم محفوظ نسبهم فى أوطانهم والصريح منهم المجتمعون على أحسابهم وأنسابهم فى نجد أهل قفار الذين انخزل منهم المزاريع أهل روضة سدير الذين منهم راجح جد آل ماضى وسعيد جد رميزان وهلال جد آل أبى هلال .

ومنهم آل مفيد : قدموا مع مزروع إلى سدير ؛ والقبيلة الثانية : أهل القارة وبلدانها فى سدير ، والثالثة : آل عرينة أهل الغاط وأهل رغبة ، والرابعة : آل منعات الذين منهم آل عشيرة أهل عشيرة ؛ والخامسة : العناقر الذين منهم آل ناصر أهل ثرمداء والجار الله أهل مراة وآل فريح المعروفون بالفرحة وآل عليان من آل بريدى وحجيلان أهل بريدة والمناقير فى سدير والفقهاء فى ضرما ، والسادسة : الوهبة أهل أشيقر وقد تفرقوا فى بلدان نجد ، والسابعة : النواصر ؛ والثامنة أهل الحوطة الذين فى برك ونعام قيل : إنهم درجوا من قفار إلى قارة سدير واستوطنوا فيها ثم درجوا بعد ذلك إلى هذا الذى هم فيه وهو الملقا والحلوة وبريك ، هؤلاء المضبوطون من حاضرة تميم ومن تميم أيضاً بطون كثيرة اختصرنا هذا منها .

ومن تميم أيضا : بنو امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ، منهم : عدي بن زيد الشاعر : ومنهم ، هشام الذى كان يهجوه ذو الرمة ولذى الرمة فيهم هجو كثير ، قال الحرماز : مر جرير بذى الرمة فقال ياغيلان أنشدنى ما قلت فى المرائى فأنشده :

نَبتْ عيناكَ عن طللٍ بِحَزْوى   عفتْهُ الريحُ وامْتنَحَ القِطَارا

فقال : ألا أعينك يا غيلان ؟ قال : بلى بأبي أنت وأمي فقال : قل فقال :

يَعُدُّ النَّاسِبونَ إلَى تَميمٍ ... بُيوتَ المجْدِ أربعةً كِبَارًا
يَعُدُّونَ الرِّبابَ وآلَ سعدٍ ... وعَمرًا ثم حنْضلَةَ الخِيَارَا
وهُلْكَ بينَها المَرْئِيُّ لغوًا ... كما أُلغِيتَ فى الديةِ الحوارَا
إذا ما المرءُ شَبَّ لهُ بناتٌ ... عَصَبْنَ بِرأْسِهِ أبةً وعارَا

وقال أيضا :

فلَمَّا دخَلْنَا جوفَ مرأةَ غُلِّقتْ ... دسَاكِرُ لم يُرفَعْ لِخيرٍ ظِلاَلُها
وقدْ سُمِّيتْ باسمِ امرىءِ القَيْسِ قَريةٌ ... كِرامٌ صَوادِيها لِئامٌ رِجالُها

ومرأة قرية فى الوشم لبني امرىء القيس كان يسكنها هشام .

وأما ثرمداء فقال في معجم البلدان : قال الأزهرى ماء لبنى سعد وقيل قرية بالوشم من أرض اليمامة وهو خير موضع بالوشم ؛ وقال أبو القاسم محمود بن عمر يعنى الزمخشرى : هى قرية ذات نخل لبنى سحيم ؛ وقال السكونى : هى لبنى امرىء القيس بن تميم ، وقال فى القاموس : ثرمداء قرية ، وماء فى ديار بنى سعد وشقراء قرية بناحية اليمامة من الوشم وأشيقر كأحيمر بلد عنها شمالا ، قال زياد بن منقذ بن حمل التميمى صاحب أشى القرية التى فى وادي المجمعة وحرمة لما تغرب عنه إلى اليمن فتشوق إليه فى قصيدته التى مطلعها :

لَا حبَّذا أنتِ ياصنعاءُ مِن بلدٍ ... ولا شَعُوبٍ هَوَى مِنِّى ولا نقَمُ
إذا سقى اللهُ أرضاً صوبَ غاديةٍ ... فلا سقاهُنَّ إلا النارَ تَضطَرِمُ
وحَبَّذا حينَ تُمسِي الريحُ باردةً ... وادى أشى وفتيان به هظم
المطعِمون إذا هبت شآميةٌ ... وباكَرَ الحيَّ من صرادِها صرم

إلى أن قال :

مَتَى أمُرُّ علَى الشقراءِ مُعتَسِفًا ... خِلَّ النَّقَا بِمرُوحٍ لحمُها زِيَم
والوشْمُ قد خَرجَتْ منهُ وقَابلَهَا ... من الثَّنايَا التي لم أَقلِهَا ثَرَمُ

ثرم جبل ، قال شارح الحماسة الوشم بلد ذو نخيل دون اليمامة ، وقال فى معجم البلدان الوشم موضع بنجد وهو لبنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ؛ قال وقد تقدم فى رسم ثرمداء زعم أبو عثمان عن الحرمازي أنه ثمانون قرية انتهى ، وهو لتميم ، والرباب ، وعكل ، وتتصل مياههم وأماكنهم إلى السر والتسرير ثم إلى البطاح إلى الزليفات وجزرة وسمنان والغاط إلى الدهناء وما يليها من المياه وهم أكثر العرب حاضرة هم وبنو ربيعة بن نزار وتتصل إلى مبايض ورماح والمجزل وما بين ذلك كما ذكر صاحب المعجم المذكور .

وأما عبد مناة بن أد بن طابخة فهو أبو الرباب وهم : تيم ، وعدى ، وعوف ، والأشيب ، وإنما سمو الرباب لأنهم هم وضبة بن أد غمسوا أيديهم فى الرب فتحالفوا على تميم ويذكرون فى عداد بنى تميم ويقال لبني عوف بن عبد مناة عكل وهم : الحارث وجشم وسعد وعلى بن عوف بن وائل بن قيس بن عبد مناة حضنتهم أمة لأمهم يقال لها عكل ، فنسبوا إليها .

ومن بني عدى أقيش وهو بيت عكل منهم النمر بن تولب بن أقيش الشاعر وفد على النبى ﷺ ومدحه بشعر أوله :

إنَّا أتيناكَ وقدْ طالَ السَّفرْ ... نَقُودُ خَيْلاً ضُمْراً فيها ضَرَرْ
نُطْعِمُهَا اللحمَ إذا عَزَّ الشجَرْ

وفيها يقول :

يَاقومُ إنِّى رَجلٌ عِندي خَبرْ ... اللهُ مِنْ آياتِه هذَا القمرْ
والشمسُ والشِّعْرَى وآياتٌ أُخرْ

وأدركَ الإسلامَ وهو كبير ولا مدح أحدا ولا هجا ، وكان جوادا ، وهو الذى يقول :

لَا تغْضبَنَّ على امرىءٍ فى مالهِ ... وعلى كرائم صلبِ مالِكَ فاغْضَبِ
وإذا تُصِبْكَ خَصَاصةٌ فارجُ الغِنَى ... وإلى الذى يهبُ الرغائبَ فارْغَبِ

ومن عدي ذو الرمة غيلان بن عقبة بن بهيس بن مسعود بن حارثة ابن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثعلبة بن ربيعة بن ملكان بن عدى ، وأخواه أوفى ومسعود جدّ الوهَبَة ، يقال : وهيب بن قاسم ابن مسعود [1] ، ومن ثور سفيان الثورى المشهور .

وأما عمرو بن أد فولده عثمان ، وأوس ، وأمهما : مزينة بنت كلب ابن وبرة نسبوا إليها ؛ منهم زهير بن أبى سلمى .

وأما ضبة بن أد فولده سعد وسعيد وباسل ، ومن بطونهم بنو السيد وعائذة وهاجر وكنوز وموهب وصباح ، وهم بطن فيهم شرف وعدد منهم عاصم بن خليفة بن معقل بن صباح الذى قتل بسطام بن قيس ، فارس بنى بكر بن وائل هذا ما لخصنا من قبائل إلياس بن مضر .

وأما أخوه قيس عيلان - بالعين المهملة - بن مضر بن نزار واسمه الناس بالنون ، فهو أبو القبائل الكثيرة .

قال صاحب حماة : وقد جعل الله فى قيس من الكثرة أمراً عظيما ، ولكثرة بطونهم جعلوا فى مقابلة اليمانية مدرجاً فيهم سائر العدنانية ، فيقال : قيس ويمن ، فمنهم : بنو فهم بن عمرو بن قيس عيلان ، ومنهم عدوان بن عمرو بن قيس عيلان ، عدا على أخيه فهم فقتله فقيل له عدوان وإلا فاسمه الحارث .

قال فى العبر : كانوا بطنا متسعا ومنازلهم الطائف نزلوها بعد إياد

---

(١) كذا قال والمعروف عند الناس إن الوهَبَة من تميم وهو الذى عليه علماء النسب ونقله علماء الوهَبة جدًّا عن جد ، وعليه ختومهم ، إن عقبة الذى ينتهي إليه نسب الوهَبَة هو عقبة بن سنيع ، لا عقبة بن مسعود ، وهذا نصه وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبى سود بن جشيش بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم .

والعمالقة ، ثم غلبهم ، عليها ثقيف ، قال وبها الآن منهم خلق كثير ، ومنهم باهلة وهم بنو مالك بن أعصر وبنوه سعد مناة ، وأمه : باهلة ، ومعن فولد معن أوداً وجعادة ، وأمهما : باهلة خلف عليها معن بعد أبيه ، وقتيبة وقضا ، ووائلا وحربا فحضنتهم باهلة كلهم ، فغلبت عليهم ومنهم بنو غني ابن أعصر .

ومن قبائل قيس : بنو غطفان بن سعد بن قيس عيلان ، وهو أخو أعصر ، من أشرافهم بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، منهم : هرم بن سنان ممدوح زهير بن أبي سلمى .

ومنهم : بنو عبس بن بغيض وبنو ذبيان بن بغيض : الذين وقع بينهم الحرب العظيم المعروف بحرب داحس ، ومن ذبيان بنو فزارة بن ذبيان ، منهم بنو بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدى بن فزارة وولد بدر عشرة منهم : حذيفة أبو حصن وحصن أبو عيينة المشهور ومنهم : أسماء بن خارجة بن حصن كان سيد أهل زمانه وابنه مالك ، ومن قيس بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ، ولهم بطون كثيرة منهم بنو عميرة ابن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم ، وبنو عصية بن خفاف .

ومنهم : بنو زعب بطن بن مالك بن خفاف من ولده يزيد بن الأخنس ابن حبيب بن جرو بن زعب بن مالك عقد له رسول الله ﷺ لواء يوم الفتح وابنه معن .

ومن قيس بنو محارب بن خصفة ، ومن قيس بنو أشجع بن ريث ومن قيس هوازن بن منصور أخو سليم أبو القبائل العديدة من أعظمهم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وأبناء عامر ربيعة أبو كلاب البطن المعروف إليهم البيت ، وإخوة ربيعة : هلال ونمير وسواءة ، وأخوه كلاب بن ربيعة بن عامر كعب بن ربيعة ، وبنوه : عقيل ومعاوية ، وهو الحريش وقشير وجعدة ، كلهم بطون فولد ربيعة عقيلا وولد عقيل ربيعة

وعمرًا وعامرًا وعبادة ومعاوية ، وعوفا والعدد فى عقيل فى عمرو ثم عامر ثم عبادة وربيعة فولد ربيعة بن عقيل رياحاً وعمراً وعامراً وكعباً ، وهو أبو الكعوب وهم الخلعاء كانوا لا يعطون أحداً طاعة هذا ما ذكر ابن الكلبى ، وقد ذكر السيد أحمد بن عبد الله بن حمزة فى شرح ذات الفروع لما أتى على قوله :

وعائذُ الشمِّ الذِينَ إليهِمُ   من المجدِ غاياتُ العُلَى تَنَاوَبُ

قال فى الشرح : هو عائذ بن ربيعة بن عقيل وكان سعيد بن فضل الطائى قد غزاه إلى آخر القصة .

ومن عقيل بنو عامر ، قال في العبر : وهم بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف ولم يزد فى نسبهم ، قلت : وعوف هو ابن عامر بن عقيل جد أبي حرب بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل ، كان فارساً جاهليًّا ثم أسلم ووفد على رسول الله ﷺ ، وسأله أن لا يحشر قومه ولا يُعشروا ، وكانت مساكن بنى عقيل البحرين فى كثير من قبائل العرب ، وأعظمهم عقيل وتغلب وسليم ، ثم غلبت عقيل وتغلب على سليم ، فأخرجوهم فسارت سليم إلى مصر والمغرب ؛ ثم اختلف بنو عقيل وبنو تغلب بعد مدة ، فغلب بنو تغلب ، وطردوا عقيلا ، فساروا إلى العراق وملكوا الكوفة والبلاد الفراتية وتغلبوا على الجزيرة وتلك النواحى .

وكان من رؤسائهم المقلد وقريش وابنه مسلم المشهورة وقائعهم في التاريخ ، حتى غلبهم عليها الملوك السلجوقية فتحولوا عنها إلى البحرين ، حيث كانوا أولا فوجدوا تغلبا قد ضعف أمرهم فغلبوهم وصار الأمر لهم .

قال ابن سعيد : سألت أهل البحرين فى سنة ستمائة وإحدى وخمسين حين لقيتهم بالمدينة عن البحرين ؟ فقالوا : الملك فيها لبنى عقيل وتغلب من جملة رعاياهم وبنو عصفور من عقيل هم أصحاب الأحساء .

وبنو عامر بن عوف هم إخوة بنى المنتفق ؛ ومسكنهم بجهات البصرة .

قال فى العبر : وقد ملكوا البحرين بعد بنى أبي الحسين أحمد بن أبى سنان العيونى غلبوا عليها تغلبا .

قال ابن سعيد : وملكوا أيضا أرض اليمامة من بنى كلاب وكان ملكهم فى نحو الخمسين من المائة السابعة ملكها منهم عصفور وبنوه .

قال الحمدانى : ومنهم القديمات والتعليم وقباث وقيس ودغفل وحرثان : وبنو مطرف وذكر أنهم وفدوا صحبة مقدمهم محمد بن أحمد بن شبانة بن عقيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة من عامر ، وعوملوا بأتم الإكرام ، وتوالت وفادتهم على الناصر محمد بن قلاوون ، وأغرقتهم تلك الصدقات بديمها ، وبرز أمره السلطانى إلى الأفضل بتسهيل الطريق لوفودهم .

ومن أولاد عقيلة بن شبانة عميرة جد العماير وهو : أبو راشد شيخ عقيل فى إمارة محمد بن أبى الحسين بن أبى سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن على بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم العيونى وهو الذى حالف عزيز بن حسن بن شكر بن على بن عبد الله بن على العيونى ، على أنه يقتل الأمير محمد بن أبى الحسين صاحب القطيف ، ويتولى عزيز مكانه ويكون لراشد بن عميرة ملك السلطنة فى القطيف من أرض ونخل وعدة بساتين ، من أوال مسمات ، وعدة مراكب للسفر ، والغوص وألوف دنانير ، وعدد من الثياب وأشياء غيرها لراشد منه شيء معلوم ، ويفرق الباقى على عشيرته وأصحابه ، ومن أراد من أهل البلد ، فقتله على ذلك الشرط ، ووفى له عزيز بذلك ولم يبق للسلطان فى بساتين القطيف شيء .

قال فى مسالك الأبصار : ودارهم الأحساء ، والقطيف ، وملح ، ونطاع ، والقرعاء ، واللهابة ، وجودة ومتالع .

ومن عقيل أيضا بنو المنتفق بن عامر بن عقيل ، قال ابن سعيد ومنازلهم الأجام القصب التى بين البصرة والكوفة ، والإمارة فيهم لبنى معروف ، منهم : عمرو بن معاوية بن المنتفق صاحب الصوائف ، وكان معاوية ولاه : أرمينية وأذربيجان ، ثم ولاه : الأهواز وقتل ابنه زياد يوم راهط وكان شريفا ، ومنهم لقيط بن عامر بن المنتفق الوافد على رسول الله ﷺ .

وأما بنو عبادة بن عقيل فمنازلهم بالجزيرة الفراتية ، ولهم عدد وكثرة غلب منهم على الموصل وحلب فى أواسط المائة الخامسة : قريش بن بدران ابن مقلد ثم ملكها ابنه مسلم شرف الدولة وتوالى الملك لعقبه إلى أن انقرضوا ورجعوا إلى البادية .

ومن عقيل خفاجة بن عمرة بن عقيل ، قال فى العبر : وكان لهم ببادية العراق دولة قال فى المسالك : وديارهم من هيت والأنبار ، إلى الكوفة ، إلى قاتم عنقاء ، إلى مادون البصرة .

قال الحمداني : وفدوا على السلطان بيبرس بعد كسره الخليفة المنتصر المجهز من مصر لقتال التتار ، وكان كبيرهم خضر بن بدران بن مقلد بن سليمان بن مهارش العبادى ، وشهر بن أحمد الخفاجي ، ومقبل وعياش بن حديثة ، ووشاح وغيرهم فأنعم عليهم وكانوا عوناً له على التتار .

ومن بنى عامر بن صعصعة : بنو هلال بن عامر ، وأولاده عبد الله ، ونهيك ، وعبد مناف ، وصخر ، وعائذ ، وروبية ، وناشرة .

قال ابن سعيد : وجبل بنى هلال بالشام مشهور ، وقد صار عَرَبُه حرّائين .

قال الحمدانى : ولهم بلاد أسوان ، وبلاد الصعيد إلى عيذاب ، ومنهم بنو رياح بن أبى ربيعة بن نهيك بن هلال بن سعيد ، ومساكنهم فى إفريقية ، قال وبنواحي المسيلة والزاب .

قال فى المسالك : وهم فرقة كثيرة وكان لهم مُلك العرب القديم ببلاد المغرب ، وذكر أن مشيختهم فى زمانه ليعقوب بن على بن أحمد ، وكان أبوه فى غاية من الكرم ، بعث إليه سلطان أفريقية ثلاثين حملا من البز الرفيع والتحف ، فوهبها لثلاثة من المستعطين ، قال : ويجاورهم عموش بن خلف ، ونطاح أخوه ، وهما أهل إبل ، يكون عند الرجل منهم ستون ألف بعير .

وذكر ذلك عن الشيخ أبى يحيى المغربى الإمام بالقصر السلطانى ثم قال وعليه العهدة فى ذلك :

[ومن رياح بنو فارغ ومنازلهم بالمغرب الأقصى ومن بطونهم بنو عتيبة ومنازلهم باجة وبالمغرب الأقصى منهم خلق كثير] .

ومن بني هلال بنو حرب ، قال الإمام أبو العباس أحمد بن عبد الله القلقشندى فى كتابه : نهاية الأرب فى معرفة قبائل العرب ، بنو حرب بطن من هلال بن عامر .

ذكرهم الحمداني قال : منازلهم الحجاز ولم ينسبهم ؛ قال : وهم ثلاثة بطون : بنو مسروح ، وبنو سالم ، وبنو عبد الله ، قال : ومنهم زبيد الحجاز ، وبنو عمرو ، وهم أكثر العرب عدداً وأجرؤهم رِجلا باطشة ويداً ، ومساكن جميعهم الحجاز انتهى .

وقد فصلهم المحشى على هذا الكتاب فقال : قلت : وقبائل حرب كثيرة من حرب ، وهم : زبيد ، وزبالة : وبنو سليم ، وبنو يزيد ، ومخلف ، والسفر ، ومزينة ، وبنو سالم ، وبنو على ، وعوف .

هذه القبائل العشرة يجمعها الآن : مسروح بن حرب ، منازلهم الآن بين مكة والمدينة ، وقبائل عمرو ، والحمران ، وبنو داير ، وبشر ، وبنو محمد ، وجهم ، والبلادى .

هذه السبع يجمعها الآن عمرو بن حرب ، وأما صبح فهم حلفاء لبنى سالم ومعبد حلفا بنى عمرو انتهى .

وقال أيضا فى نهاية الأرب : بنو عتيبة بطن من بنى رياح بن هلال ابن عامر ، منازلهم بنواحي باجة من إفريقية ، وبالمغرب الأقصى ، منهم خلق كثير .

وأما بنو عائذ فقال فى شرح ذات الفروع : بنو عائذ بن ربيعة بن عقيل .

قال كان سعيد بن فضل الطائى قد غزاهم فى ألف وخمسمائة فارس فوافاهم خلوفا قد غزوا ربيعة الفرس ، فأخبروا أن طيا قد استاقت أموالهم فرجعوا وأدركوهم ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل سعيد بن فضل ، وأسر ولده ، وأخذ من خيلهم ألف قليعة ، وقتلوا قتلا ذريعا انتهى .

وقد ذكر السيوطى بنى عائذ فقال : بنو عائذ بن سعيد ذكرهم الحمدانى ، ولم يبين من أى عرب هم غير أنه عائذ بن سعيد ، ثم قال : وديارهم من حرمه إلى جلاجل ، والتويم ، ووادي القرى ، وقال : وليس بالوادي المقارب للمدينة ويعرف بالعارض .

قال فى مسالك الأبصار : وحدثنى عبد الله بن أحمد الواصلى أن بلادهم بلاد خصب وخيرات زرع وماشية ، بقُرى عامرة ، وعيون جارية ، ونَعم سارحة ، وأن لأرضهم بذلك الوادى حصانة ومنعة ، وأن المظفر بن بيبرس الجاشنكير سلطان مصر ، هَمَّ بقصد هذا الوادى واللجأة به ، والمقام فيه ، وأن يكون فيه كواحد من أهله ، مرتزقا من سوائم الإبل ، ثم انثنى عزمه عن ذلك .

وقال السيوطي فى قلائد الجمان : بعد أن ذكر آل فضل بن ربيعة الطائيين ، الذين منهم آل عيسى ، وآل مهنا ملوك عرب زمانهم من العراق ، إلى الشام ، وأطنب فى تعظيم شأنهم وشرفهم ، ثم قال : وينضم إليهم من سائر العرب : زعب ، والحريب ، وبنو كلب ، وبنو كلاب ، وآل بشار ، وآل خالد حمصى ، وطائفة من سنبس ، وخالد الحجاز ، والسراحين ،

ويأتيهم من عرب البرية من نذكر فمن غزية : غالب وأجود والبطان وساعدة ، ومن بنى خالد : آل جناح والضبيبات من مياس والجبور والدعم والقرشة ، وآل منيخة وآل ثبوت والمعامرة والعلجان ، وفرقة من عائذ وآل يزيد ، والدواسر انتهي .

قال بعض العلماء المجيبين على قوله : وفرقة من عائذ : وهم آل يزيد وشيخهم ابن مغامس والمزائدة ، وشيخهم ابن أبي محمد وبنو سعيد ، وشيخهم : محمد العليسى والدواسر ، وشيخهم : ابن بدران الكل من عائذ الحجاز بن ربيعة انتهي .

قال فى نهاية الأرب : الدواسر بطن من العرب باليمن ذكرهم المقرى فى التعريف ، قال : وكان يكتب إلى رجال منهم بسبب خيل تسمن للسلطان عندهم قال : والمعامرة بطن من بنى خالد الحجاز ولم ينسبهم والدعم وآل جناح من خالد الحجاز انتهى .

قلت الذي استفاض فى منازل العائذيين أن دارهم ما بين العيينة إلى حدود الدرعية المسمى بالوصيل وأهلكهم آل درع والموالفة الذين بقاياهم آل سعود وآل وطبان وجميع الدروع وآل مديرس وآل عبد الرحمن شيوخ ضرما فقتلوا آل يزيد قتلا ذريعا ودمروا منازلهم .

وأما المزائدة فديارهم الخرج المعروف اليوم ، وأما الدواسر فديارهم واديهم الذين هم فيه اليوم ولم نعلم لعائذ اليوم بادية مستقلة بنفسها إلا الدواسر على رأى من جعلهم منهم والمعاليم أحلاف آل ظفير وحاضرتهم قليلة .

هذا الذى لخصنا من نسبهم ويتفرع من عامر بطون كثيرة ، منهم : خالد [الحجاز] من عرب بيشة الذين انخزل ، منهم : فريق آل حميد وهم آل غرير بن عثمان ، وآل حسن بن عثمان ، وآل هزاع ، وآل شباط ، والقرشة ، وآل كليب ، والمهاشير ، وهم استولوا على الأحساء والقطيف سنة

ثمانين بعد الألف ، مقدمهم براك ولد غرير جد أبي غرير وأجلوا عنه نواب الروم ، وقد ذكر تاريخ ولايتهم أحد أدباء القطيف المسمى بالخط فقال :

رأيتُ البدْوَ آلَ حميدَ لمَّا تولَّوْا أحْدثُوا فى الخطِّ ظُلْمَا
أتَى تاريخُهم لمَّا تولَّوْا وقَانَا اللهُ شَرَّهُم طغى الْمَا

ولفظة طغى الماء هى التاريخ المذكور ، وقد أرخ جامع النبذة زوال ملكهم بقيام دولة آل سعود فقال :

وتاريخُ الزَّوالِ أتَى طِبَاقاً وغارَ إذْ انتهَى الْأَجلُ المُسَمَّى

ولفظة وغار تمام سبع ومائتين بعد الألف ، ومن بنى خالد المذكورين : آل جناح والضبيبات ، والجبور ، والدعم ، ومياسة ، والثوابت كل هؤلاء فى عقيل . في الشبول

وكان للجبور المذكورين دولة ورياسة بادية وحاضرة في الأحساء والقطيف وعمان وتلك النواحى ومعظمها فى القرن التاسع ، وأشهرهم فى الرياسة والملك والسخاء ، والجود أجود بن زامل الجبيرى العقيلى ، فإنه كان له صيت عظيم هو وبنوه زامل وسيف حتى ذكر العصامي أن أجود لما حج فى سنة ٩١٢ كان في ثلاثين ألفا ، ثم إن بنيه اختلفوا بعد موته ، ثم تولى ابنه مقرن وهو الذي يقول فيه جعيثن اليزيدى فى قصيدته التى يقول فيها :

ابتدأت ٨٥٠ هـ وسقطت ٩٢٧ هـ

رَخاءُ العيشِ ضمن فى اقْتحام الشَّدائِد وَنيلُ المَعَالِى فى لِقَا كلِّ كائد
ويُسْرُ الليالِى مستعادٌ لعُسْرِهَا كذَا قالَ فى التنزيلِ وافِى المواعِدِ
وَالأعْمالُ مِنها عائدٌ كلُّ ما مضَى والأعْمارُ مِنها ما مضَى غَيْرَ عائِدِ

إلى أن قال :

ولاقيتُ بعدَ السَّيرِ ياناقُ مُقْرناً وقابلتُ وَجهًا فيهِ لِلْحمدِ شَاهِدِ
نشأ بين سيفٍ والغريريِّ زاملٌ فيا لكَ من عَمٍّ كريمٍ ووالِدِ
وبين أجود سلطان قيس وركنها عن الضيمِ أو في المعضلاتِ الشدائِدِ
حمَى بالقنا إلى ضاحِى اللّوي إلى الـ ـعارضِ المنقادِ نابِى الفرائِدِ

ونجدٍ رعى ربعيٌّ زاهى فلاتِها على الرغم من ساداتِ لامٍ وخالِدِ
وساداتِ حجرٍ من يزيدٍ ومَزْيَدِ قد اقتادَهُم قَوْدُ الفَلا بالقلائِدِ

بنو لام هم الذين منهم آل ظفير ، وآل مغيرة ، الذين منهم الملوك الشهيرة ، والبطون الكثيرة ، وقد انقرضوا إلا النادر فى الحاضرة والمندرج فى البادية .

ومنهم : آل كثير ، والفضول ، وهم : خالد المذكورون الذين انخزلوا من ناحية بيشة وصاروا بادية الخرج ، وما يليه في زمن ولاية الروم على الأحساء ، فإنه لما ضعف أمر الأجود وانقرضت دولتهم استولى الروم على الأحساء فى آخر القرن العاشر ، وضبطوه وأحصنوه ، وبنوا فيه فاتح باشا ، ثم على باشا المشهور ، ثم ابنه محمد باشا ، أرسله أبوه علىّ فى مكاتبة إلى السلطان فزور على أبيه رسالة مضمونها أنه يريد من السلطان الانخلاع عن الإمارة لابنه محمد المذكور فتم الأمر على ذلك .

فلما قدم خلع أباه وأراد حبسه ، فطلبه أبوه أن يجهزه إلى المدينة فى مجاورة الرسول ﷺ فجهزه هو وأهل بيته ، وابنيه ، الأمير فى القطيف يحيى بيك ، وأبو بكر الأديب ، وكان ذا شهامة وصرامة ، وله ديوان شعر مجلدان ، وكان مولده فى حدود الألف ، وتوفى سنة ١٠٧٦ ، وتوفى أخوه يحيى الفقيه الأديب سنة ١٠٩٥ .

وكانت وفاة أبيهما على باشا سنة ١٠٤١ بطيبة ، كان يحيى فقيها أديبا ، أخذ عن علماء الأحساء ، وأخذ الفقه والحديث والعربية عن الإمام العلامة : إبراهيم بن حسن الأحسائى الحنفى ، وأجازه بجميع مروياته ومؤلفاته .

ولم تزل ولاية الروم على الأحساء والقطيف حتى انتزعها منهم آل حميد ، على تمام الثمانين بعد الألف ، وكان باديتهم قبل آل حميد من طوائف المنتفق ، آخرهم راشد المغامس الذي قتل آل حميد وقت ولايتهم انتهى .

ورأيت نسبة لعائذ يقول فيها : عائذ بن سعيد بن زيد بن زيد بن جندب بن جابر بن زيد بن الحارث بن بغيض بن شكيم - بفتح المعجمة وسكون الكاف - المحاربى الجسرى له وقادة .

قال البلاذرى : ومن ولده لقيط بن بكر بن النضر بن سعد بن عائذ ابن سعيد بن عائذ بن سعيد وكان راوية عالما صدوقا ، وشهد عائذ الجمل وصفين وقتل بهما .

ومن عامر : النابغة الجعدى الشاعر المشهور المعمر الذى أنشد النبى ﷺ قصيدته التى قال فيها :

وَلَا خَيْرَ فى حلمٍ إذا لَمْ يكُنْ لهُ بوادرُ تَحْمِى صَفْوَهُ أن يُكَدَّرَا
ولا خيرَ فى جهلٍ إذا لم يكنْ لهُ حليمٌ إذَا ما أوْردَ الأمْرَ أصْدَرَا

فقال له النبي ﷺ : لا فض الله فاك : فعاش عمرًا طويلا لم يسقط منه سن حتى مات .

ومن عامر : قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، منهم : قرة بن هبيرة وفد على النبي ﷺ فأكرمه وكساه واستعمله على صدقات قومه .

ومنهم : زياد بن عبد الرحمن ساق فى غزوة ألف خصي من الغنم كان يذبحها ، وولاه عمر بن عبد العزيز خراسان .

ومنهم : ناشد رجله جياش بن قيس بن الأعور بن قشير ، شهد اليرموك ، فقتل بيده ألف رجل فيما تزعم قيس ، وقطعت رجله يومئذ فلم يشعر بها حتى رجع إلى منزله ، فرجع ينشد عن رجله فجعل يقول :

أَقْدِمْ حذامِ إنَّها الأساوِرَهْ ولا تغُرَّنْكَ رِجْلٌ نادِرهْ
أَنَا القُشَيْرِىُّ أخو المهاجرهْ أضربُ بالسيفِ رءوسَ الكَافِرهْ

* * *

وله يقول سوار بن أوفى :

ومنَّا ابنُ عتابٍ وناشِدُ رجله   ومنَّا الذِى أدْلَى إلى الحيِّ حاجبًا

يعنى مالكا وهو ذو الرقيبة الذى أسر حاجب بن زرارة يوم جبلة سيد تميم .

ومن عامر بنو جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر ، ومن ولده عمرو ابن ربيعة الرقاد ، وورد منهم عبد الله بن الحشرج الذى غلب على فارس أيام ابن الزبير وله يقول زياد بن الأعجم :

إنَّ السماحةَ والمروءةَ والنَّدَى   فِى قُبَّةٍ ضُرِبَتْ علَى ابنِ الْحَشْرَجِ

وكان لعبد الله امرأةٌ يقالُ لها سريرة تلومه على الجود فقال :

أَلَا هَبَّتْ تلومُكَ أمُّ سَكْنٍ   وغَيرُ اللَّومِ أوفَى لِلرَّشادِ
ومَا دَفعِى بمالِى دونَ عِرْضِى   بإِسْرَافٍ سَرِيرٍ ولا فَسادِ
ولَا أُعطِى الخليلَ إذا الْتقَينا   مُكَاثرتِي وأمْنعُـه تِلَادِي
ولَكِنِّى امرُؤٌ عوَّدتُ نَفْسِى   علَى عِلَّاتِها جَرْىَ الجيَادِ
مُحافظةً علَى حَسَبي وأرْعَى   مَسَاعِي آلَ رُومةَ والرُّقَادِ

ويتفرع من عامر بطون كثيرة وولد مرة بن صعصعة عدة أبناء ، أمهم سلول بها يعرفون ، ومن بطون هوازن قسىّ ، وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن .

ومن هوازن : بنو سعد بن بكر بن هوازن الذين وافدهم ضمام بن ثعلبة الذي قدم على النبي ﷺ فأسلم ، وحسن إسلامه ، وقدم على قومه فدعاهم فأسلموا بسببه .

ومنهم : حليمة بنت أبى ذويب التى أرضعت النبي ﷺ بلبان ابنتها الشيماء ، هذا ما لخصنا من أنساب بني مضر بن نزار .

وأما ربيعة بن نزار فولده أسد وضبيعة ، وفيهم كان البيت وقيل وأكلب دخل فى خثعم .

منهم : بنوة عنزة بن أسد بن ربيعة وابنا عنزة يذكر ويقدم .

قال فى العبر : وكانت ديارهم عين التمر على ثلاث مراحل من الأنبار ، ثم انتقلوا إلى جهات خيبر ؛ وكان أهلها وسكانها بني جعفر بن أبى طالب الطيار رضى الله عنه ، وكانت ذات نخيل وزروع وأنهار ، فقصدهم عنزة وجرى بينهم حروب ، وضيقوا عليهم ، فصالحوهم على شطر الثمار ، فصاروا ينزلون عندهم فى القيظ ، ثم يرحلون ثم صاروا يتزودون عليهم ، ثم قالوا : لابد أن نبقي عندكم قوماً منا يأخذون لنا ما أردنا منكم فلم يروا من ذلك بدًّا فأنزلوا عندهم رجلا يقال له : لعيب فى أربعمائة رجل من عنزة فضيقوا عليهم وساموهم الهوان ، ولم يبقوا فى أيديهم إلا القليل فتراجعوا وقالوا : ياقوم الموت أهون مما نحن فيه ، فاتفق رأيهم على القبض عليهم فما طلع الفجر حتى أحاطوا بهم ، فلم يفلت منهم أحد ، ثم تشاوروا على قتلهم ، ثم قتلوهم أجمع فبلغ ذلك عنزة فأقبلوا وحصروا البلد فتحصنوا عنهم ، وكانوا يخربون فى حروثهم وزروعهم ، فقال أهل البلدان : أردتم أعطيناكم القوس فاقطعوا النخل فتراجع عنزة ورأوا أن الصلاح فى الإبقاء فصالحوهم ورجعوا إلى مشارطتهم الأولى وورث بلادهم غزية من طيىء .

ومنهم : بنو هزان البطن والدول وعكابة ومحارب البطن ابنا صباح بن العتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة .

وذكر فى الأغانى : أن الأعشى تزوج امرأة من عنزة من هزان فلم يرضها ولم يستحسن خلقها فطلقها ، قال سفيان الثورى : طلاق الجاهلية طلاق الإسلام ، كانت عند الأعشى امرأة من هزان فأتاه قومها فقالوا : طلقها فقال :

أَيا جَارتِى بِينِى فإنكِ طالِقهْ ... كذَاكَ أمورُ الناسِ غادٍ وطَارِقَهْ
وَبِينِى حَصَانَ الفَرْجِ غيرَ ذميمةٍ ... ومُومِقَةٍ فينَا كَذَاكَ وَوَامِقَهْ
وذُوقِى فتَى قومٍ فإنّيَ ذَائقٌ ... فُتَاتَ أُنَاسٍ مِثل ما أَنْتِ ذَائِقهْ

لقدْ كانَ فِي فتيانِ قَومِكَ منكح   وشبانِ هزانَ الطوالِ الغَرانِقهْ
فَبِينى فإنَّ البينَ خيرٌ منَ العصَا   وإلَّا تزالي فوقَ رأسِكِ بَارِقَهْ
ومَا ذاكَ عِنْدِي أنْ تكُونى دَنِيّةً   ولَا أنْ تكوني جئتِ عِندِى بِبَائقهْ

ومن هزان الحارث بن الدول بن صباح كان إذا مصر مصرت معه عنزة كلها ثم لا يمصر أحد إلا نزعوا كتفه ، منهم عبد شمس بن مرة بن عمرو بن ضبيعة بن الحارث بن الدول ، وهم الذين أسروا حاتم طيىء ، والحارث بن ظالم الرئيس ، وكعب ابن مامة الجواد .

وأما بنو ضبيعة بن ربيعة فمنهم : بنو حلى بن أحمس بن ضبيعة ، الذين منهم بنو يعمر بن مالك بن بهثة بن حرب بن وهب ، كانوا فى كلب دهراً ثم رجعوا ولهم يقول امرؤ القيس :

* مُجاوِرُ غسَّانَ والحيُّ يَعْمُرَا *

ومن أعظم قبائل ربيعة : بنو وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بنو وائل ، وكان لوائل من الولد بكر ، وفيهم العدد وتغلب وعنز ، وأمهم هند أخت تميم وكان لبكر من الولد عليّ ويشكر ، ومن أعظم بطونهم بنو شيبان بن ثعلبة الحصن بن عكابة بن صعب بن على بن بكر ، منهم : بنو أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان .

قال ابن الكلبي : قال عوانة بن الحكم الكلبي : جهز رسول الله ﷺ جيشا فأعجبه ما رأى من حالهم وعدتهم فقال : « والذي نفسى بيده لو لقوا حمر الحماليق من بني آل ربيعة لهزموهم » منهم هانىء بن مسعود بن عامر الخصيب بن عمرو بن أبى ربيعة ، صاحب يوم ذى قار وهو الذى قال فيه النبي ﷺ : « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم بفوارس من ذهل بن شيبان وبى نصروا » .

وذلك أن النعمان بن المنذر لما بعث إليه كسرى ليقدم عليه وكان قد جعله كسرى ملك العرب الذين يلونه ، وكان يخافه ولا يدرى ما يبدر منه

فأودع ذويه وأهل بيته وحلقته وأمواله وحواشيه بنى شيبان ، وقدم على كسرى فحبسه وبعث إلى بنى شيبان يطلب ودائع النعمان ، فقالوا : لا ندفع أمانتنا فبعث إليهم العساكر العظيمة ، من العجم والعرب ، من طيىء وغيرهم ، فأغاروا عليهم على ذى قار فاقتتلوا قتالا شديدًا ، فوقعت الهزيمة على جيش كسرى ، فأمعنوا قتلا وأسراً ، وهلك أكثرهم في البرية .

وكانت هذه الوقعة سنة خمس وأربعين من مولد النبي ﷺ .

ومنهم مرة بن ذهل وبنوه عشرة منهم همام وجساس الذى قتل كليبا ، ومنهم ذو الجدّين عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام ، الذى من ولده بسطام بن قيس الفارس المشهور وهو الذى وضعت العرب أعمدة بيوتها جزعا عليه لما قتل .

ومن بني ثعلبة شيبان : الأصغر بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة ، منهم الحارث بن سدوس بن شيبان ، كان من عظماء بكر بن وائل ، كان له خمسة وعشرون ولدا يركبون معه ولبنى سدوس قرية فى اليمامة ذات نخل تسمى حزوى .

ومن بني شيبان هذا الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان ، وذهل هذا بطن كثير العلماء ، ومن سدوس عمران بن حطان ، ومن بنى ذهل عامر أخو شيبان .

ومن بكر قيس بن ثعلبة بن عكابة أخو شيبان الأكبر .

منهم الحارث بن عباد بن مرة بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن ، أبو بجير كان فارس بكر وهو الذى أسر مهلهلا مراراً يخلى سبيله ، وكان يضرب به المثل فى الوفاء ، فيقال : أوفى من رب النعامة والنعامة فرسه .

ومنهم : المثنى رضى الله عنه وهو ابن حارثة الذي عقر فيل بهرام يوم القادسية ، وقتل الأعاجم وتولى حربهم زماناً فى صدر الإسلام ، ونهب وسبى وفتح بلاد كسرى .

ومنهم : شبيب بن يزيد فارس العرب باديها وحاضرها ، وهو الذى خرج على بنى أمية على عهد عبد الملك بن مروان ، وأرجف وخطب له على المنابر بالخلافة ، وخوطب بأمير المؤمنين ، ودخل الحجاج الكوفة مرارا وحصره فيها وكانت زوجته غزالة تسير معه وتقاتل ، وقد نذرت أن تصلى بالجامع بالكوفة ركعتين تقرأ فيهما بالبقرة وآل عمران ، فحازها شبيب ناحية فوفت بنذرها ، وللحجاج يقول الشاعر :

أسدٌ عليَّ وفى الحروبِ نعامةٌ   رَبْدَاءُ تَنْفِرُ مِنْ صفيرِ الصَّافِرِ
هَلَّا كَرَرْتَ علَى غزالةَ فِي الوغَا   لَكِنَّ قلْبَكَ بَيْنَ جَنْبَيْ طَائرِ

واجتمعت عليه عساكر العراق فهزمها وقتل منها ما لا يحصى ومبلغ عسكره فيها نحو ستمائة ، وأرسل الحجاج إلى عبد الملك فأتاه بأمداد كثيرة من عساكر الشام ، وآخر الأمر أنه سقط به فرسه من جسر دجلة فى الماء ، فغرق ومات بلا سيف ولا سقم .

ومنهم بيت الكرم المزيديون رهط يزيد بن مزيد بن زائدة بن مطر ، وهم بيت الكرم من ربيعة فيهم مزيد بن زائد ومنهم يزيد بن مزيد .

ومنهم : خالد بن يزيد بن مزيد الذى أعطى شاعراً ثواب بيتين قالهما فيه مائة ألف دينار والبيتان :

قلْ للبريةِ إنْ تُوُفِّيَ خَالِدٌ   إنَّ المكَارِمَ صادَفَتْ آجَالَهَا
والناسُ إن وافَتْ منيَّةُ خالِدٍ   كالقوسِ مُنْتَزَعٌ رِيشُهَا ونِصَالُهَا

ومنهم : معن بن زائدة الجواد الشجاع صاحب يوم الهاشمية ، كان أميراً شجاعاً بطلا يضرب الأمثال بكرمه وجوده ولاه المنصور اليمن وغيره ومدحته الشعراء فأسرف فى العطاء ، وكان المنصور يبخل ويحب الاقتصاد حتى إنه كثيرا ما يتمثل بقوله : أجع كلبك يتبعك ، حتى قال له بعض الظرفاء : أخاف أن يعترضه غيرك بلقمة يرميها له فيتبعه ويتركك ، فحجه وسكت ، فقال لمعن فى بعض مراجعته : خربت مال بيت مال المسلمين تعطى شاعراً مدحك ببيتين مائة ألف درهم فقال وما هما فقال :

مَعْنُ بنُ زائِدةَ الذى زِيدَتْ بهِ شَرفًا على شَرفٍ بنُو شيْبانِ
إنْ عدَّ أيامَ الفَخَارِ فدهرُه يوْمانِ يوْمُ ندًى ويوْمُ طِعَانِ

فقال يا أمير المؤمنين إنما أعطيته لقوله :

ما زلتَ يومَ القادِسِيَّةِ حائمًا بالسيْفِ دونَ خَليفةِ الرَّحمنِ
فَحَميْتَ حَوْزَتَهُ وكنتَ وِقاءَهُ مِن ضربِ كلِّ مُهنَّدٍ وسِنَانِ

فأعجبه سرعة خاطره وزاد فى إعطائه ، وقال لله درك قد أبيت إلا كرماً ، وأرسله إلى خراسان وابنه المهدى بها ، فقام فى قتال الخوارج قياماً تاماً وقتل منهم مقتلة عظيمة حتى أفناهم ، ثم إنه بعد ذلك قتله الخوارج ببيت غيلة بداره فتجرد ابن أخيه يزيد بن مزيد لقتالهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ، حتى جرت دماؤهم كالنهر ، ومن أخبار معن أنه قصده قوم من العراق فرآهم في هيئة رثة فقال :

إذَا نوبةٌ نَابَتْ صَديقَكَ فاغْتنِمْ مرَمَّتَها فالدهرُ بالنَّاس قُلَّبُ
فأحسَنُ ثوبَيْكَ الذى أنتَ لابِسُ وأَفْرَهُ مُهْرَيْكَ الذى أَنتَ تَرْكَبُ
وبَادِرْ بمعرُوفٍ إذا كنتَ قادرًا زوالَ افتقارٍ أو غِنًى عنكَ يَعْقبُ

فقال له رجل أُنشدك أحسن من هذا لابن عمك هرمة فقال هات فأنشده :

إذا المرْءُ لم ينفعْكَ حيًّا فَنَفْعُهُ أَقَلُّ إذا ضُمَّتْ عليكَ الصَّفائحُ
لأَيَّةِ حالٍ يمنعُ المرءُ مالَهُ غدا فغدَا والموتُ غادٍ ورَائحُ

فقال أحسنت ثم قال ياغلام أعطهم أربعة آلاف يستعينون بها على أمورهم إلى أن تهيىء لهم ما تريد فقال ياسيدى دنانير أم دراهم ، فقال معن : والله لا تكون همتك أرفع من همتى صغرها لهم وقد أكثر الشعراء مثل مروان بن أبى حفصة ومسلم بن الوليد وغيرهما فيه وفى أهل بيته من المدائح والمراثى قال بعضهم :

سألتُ النَّدَى والجُودَ حُرَّانِ أنْتُما ... فقَالَا جميعًا إنَّنا لَعَبِيدُ
فقُلْتُ فمَنْ مَوْلاكُما فتطاوَلَا ... عليَّ فقالَا خالدٌ ويَزِيدُ

وقال آخر :

سألتُ النَّدَى هل أنتَ حرٌّ فقالَ لَا ... ولكنَّنِي عبدٌ لِمَعْنٍ وخالِدِ
فَقلْتُ شِراءً قالَ لَا بلْ وِرَاثَةً ... أنَافَا بِها عنْ والِدٍ بعدَ والِدِ

وأما عامر بن ذهل فله عدة أبناء ، منهم : رهط عبد الكريم بن أبي العوجاء ، الذى صلبه محمد بن سليمان بن علي بالكوفة في الزندقة ، فقال عبد الكريم هذا سيَّر عن رسول الله ﷺ أربعة آلاف حديث كذب .

ومنهم : بنو حوط الذين حملوا لواء بكر يوم الجمل مع عليّ فقتلوا ، كلما قتل رجل أخذه الآخر حتى قتل سبعة ثم تحاموه ، وكان ثعلبة أبو شيبان يسمى ثعلبة الحصن لأنه فيما يزعمون عاش حتى ركب لركوبه من ولد صلبه وبنيهم أربعمائة فارس ، وكان يسمى حصن ربيعة ويسمى الأغر ولم يذكر من بلغت ذريته هذا العدد غيره أكثر من ذكر وأسعد العشيرة المذحجي فإنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلاثمائة رجل ، وكان إذا سئل عنهم يقول هؤلاء عشيرتي دفعاً عن العين عنهم فقيل له سعد العشيرة .

ومنهم : طرفة بن العبد الشاعر صاحب القصيدة المشهورة إحدى السبع المعلقات التى يقول فيها :

ستُبْدِي لكَ الأيامُ ما كُنتَ جَاهِلاً ... ويَأْتِيكَ بالأخْبارِ مَن لَمْ تُزَوِّدِ
ومَا هذهِ الأيامُ إلا مُعَارةً ... فما اسْطَعْتَ مِنْ مَعْروفِها فتزوَّدِ

وهو القائل :

كلُّ خليلٍ كُنتُ خَالَلْتُهْ ... لا يَترُكُ اللهُ لهُ سَارِحَهْ
كلُّهُم أروَغُ مِن ثَعلَبٍ ... ما أَشبَهَ الليلةَ بالبارحهْ

ومنهم : جحدر بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن فارس يوم

التحالق ، وهو جدّ المسامعة الذين من أشرافهم : مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب بن قلع بن عمرو بن عباد بن جحدر ، ذكروا ذات يوم أشراف العرب عند عبد الملك بن مروان ، فقالوا يا أمير المؤمنين : بالبصرة رجل لو غضب غضب له مائة ألف سيف ، كلهم لا يسأل لِمَ غضب فقال عبد الملك : ومن هو فقالوا : مالك بن مسمع فقال هذا والله هو السيد [ومنهم طرفة بن العبد الشاعر] .

ومنهم : الأعشى ميمون بن قيس الشاعر المشهور ، وكان منزله فى منفوحة من وادى حنيفة ، قال صاحب الأغانى : أخبرنى أبو الحسن الأسدى ، حدثنا علي بن سليمان النوفلى قال : حدثنى أبى قال : أتيت اليمامة والياً عليها فمررت بمنفوحة التى يقول فيها :

* بسفح منفوحة فالحاجر *

فقلت هذه قرية الأعشى ؟ قالوا : نعم . قلت : فأين منزله ؟ قالوا : ذاك وأشاروا إليه قلت : فأين قبره ؟ قالوا : بفناء بيته والشطر المذكور من قصيدته التى أولها :

شَاقَتْكَ مِنْ قَتْلَةَ أوطَانُها بالشَّطِّ فالوِتْرِ إلى الْحَاجرِ
فَرُكْنُ مِهْرَاسَ إلى مارِدٍ فَقَـاعِ منفوحَـةَ فالْحَائِـرِ

وأسند عن عمرو بن شبة قال : قال هشام بن قاسم العنزى ، وكان علامة بأمر الأعشى أنه وفد على النبي ﷺ وقد مدحه بقصيدته التى أولها :

* أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ ليلةَ أَرْمَدَا *

قلت : قد ذكرها ابن إسحاق وغيره من الأخباريين ، فلنذكرها بتمامها لما فيها من مدح خير البرية والحث على الأعمال الصالحة ومكارم الأخلاق الشرعية قال :

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عيناكَ ليلةَ أرمَدا وبتُّ كمَا باتَ السَّليمَ المُسهَّدَا
وما ذاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وإنَّما تنَاسَيْتُ قبْلَ اليومِ صحبةَ أحْمَدا
ولكِنْ أرَى الدهرَ الذِي هُوَ خائنٌ إذا أَصْلَحَتْ كفَّاىَ عادَ فأفسَدَا
كُهُولاً وشُبَّانًا فقَدْتُ وثَرْوَةً فللهِ هذَا العيشُ كيفَ تردَّدا
وَمازِلتُ أَبْغِي المَالَ مُذْ أنَا ناشِئٌ وليدًا وكَهلاً حِينَ شِبْتُ وَأَمْرَدا
وأبتَذِلُ العِيسَ المراقِيلَ تَغْتَلِي مَسافةَ ما بَينَ النَّجير فَصَرخَدَا
أَلَا أَيُّ هذَا السائِلِي أيْنَ يَمَّمَتْ فَإنَّ لها فى أهلِ يَثْرِبَ مَوْعِدَا
فَإن تَسْأَلَنْ عنِّى فيارُبَّ سائِلٍ حفى عن الأعشى به حيث أوردا
أجَدَّتْ برجليهَا النَّجَاءَ وجَاوزَتْ يَدَاهَا خِفَافًا لينًا غيرَ أحرَدَا
وفيها إذا ما هَجَّرتْ عجرفِيَّةٌ إذا خلتْ حِرْبَاءُ الظهيرةِ أصيدَا
وأمَّا إذا ما أَدْلَجتْ فترَى لهَا رقيبينِ حدبا ما يغيبُ وفرقَدَا
فآليتُ لا آوِى لهَا مِنْ كَلالةٍ ولا مِنْ حفى حتَّى تُلاقِى محمدَا
متَى مَا تُنَاخِي عندَ بابِ ابنِ هاشِمٍ تراحِي وتُلْقِى من فواضِلِهِ نَدَا
نبيٌّ يَرَى ما لَا تَرَوْنَ وذِكْرُهُ أَغارَ لَعَمْرِى فى البِلادِ وأَنْجَدَا
له نافِلاتٌ ما تغِبُّ ونائِلٌ وليس عطاءُ اليومِ مانِعَهُ غدَا
أَجِدَّكَ لم تَسْمَعْ وَصَاةَ محمدٍ نبيِّ الإلٰهِ حينَ أوصى وَأشْهَدَا
إذا أنْتَ لمْ ترْحَلْ بزادٍ مِنَ التُّقَى ولاقيتَ بعدَ الموتِ من قَدْ تزوَّدَا
ندِمْتَ علَى أنْ لا تَكُونَ كمِثلِهِ وأنكَ لم تَرْصُدْ كما كانَ أرْصَدَا
وإيّاكَ والمَيْتَاتِ لا تَقْرَبَنَّهَا ولا تأْخُذَنْ سَهْمًا حَديداً لتفْصِدا
وذا النصبِ المعبودِ لا تنسكنَّه ولا تحمدِ الشيطانَ واللهَ فاحْمدَا
ولا تقربنْ من جارةٍ كان سرُّها عليكَ حرامًا فانكِحَنْ وتأبدَا
وذا الرحمِ القُربى فلا تقْطعنَّه لِفاقتِه واصدُق وفُك المقيَّدا
وسبِّح على حينِ العشياتِ والضُّحى ولا تعبدِ الأوثانَ واللهَ فاعبُدَا
ولا تبتئِسْ من سائلٍ ذي ضَرورةٍ ولا تحسبنَّ المالَ للمرءِ مخْلِدا

قال هشام : فبلغ خبره قريشاً فرصدوه على الطريق ، وقالوا : هذا

صناجة العرب ما مدح أحداً إلا رفع من قدره فلما ورد عليهم قالوا : أين أردت أبا بصير ؟ قال أردت صاحبكم لأسلم قالوا : إنه ينهاك عن خلال وكلها بك رافق قال وما هن ؟

قال له أبو سفيان : الزنا ، قال لقد تركني وتركته وماذا ؟ قال : القمار قال : لعلي إن لقيته أصبت منه عوضا من القمار ، وماذا ؟ قال : الربا ؟ قال ما دنت قط ولا أدنت ، وماذا ؟ قال : الخمر قال أوه ارجع إلى صبابة قد بقيت لى مهراس فاشربها .

فقال أبو سفيان هل لك فى خير مما هممت به نحن وهو الآن فى هدنة فتأخذ مائة من الإبل ، وترجع إلى بلدك سنتك هذه وتنظر ما يصير إليه أمرنا فإن ظهرنا عليه كنت أخذت خلفاً وإن ظهر علينا أتيته قال : ما أكره ذلك ، فقال أبو سفيان : يا معشر قريش هذا الأعشى والله لئن أتى محمداً واتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره ، فأجمعوا له مائة من الإبل ، ففعلوا فأخذها وانطلق إلى بلده ، فلما كان بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله ، والظاهر أن منفوحة بلد قيس بن ثعلبة بن عكابة .

ومنهم : بنو تيم الله بن ثعلبة أخو قيس ، فمن بطونهم بنو عائذ بن ثعلبة بن الحارث بن تيم الله ، ومن تيم الله عبيد الله بن زياد الذي قتل مصعب بن الزبير ، ومحرز الذى قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب يوم صفين ، وأخذ سيفه ذو الوشاح هؤلاء بنو عكابة بن صعب بن على .

وأما بنو حنيفة فهو حنيفة بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل .

منهم : بنو سحيم بن مرة بن الدول الذين منهم هوذة بن علي بن ثمامة بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن عبد العزى بن سحيم ، رئيس حنيفة الذى مدحه الأعشى ، وكان يجيز البرد لكسرى ، حتى تصل نجران ، وأعطاه كسرى قلنسوة قيمتها ثلاثون ألف درهم وكان من أعظم ملوك العرب

ورأس حنيفة ، وغيرهم ممن يليهم من بنى وائل وغيرهم وهو أول معدّى لبس التاج وخوطب بأبيت اللعن ، وكتب إليه النبى ﷺ يدعوه إلى الإسلام كما كتب إلى كسرى وقيصر ، ووفدت إليه الشعراء فى حياته ، ولم يكن لمحكم بن الطفيل ذكر ولا لمجاعة ولا ابن أثال ولا لمسيلمة الكذاب مع أن مسيلمة أقدمهم ولادة .

قال السيوطى : كان لمسيلمة يوم قُتل مائة وخمسون سنة ، وكان مولده قبل مولد عبد الله والد النبي ﷺ ، وكان منزل هوذة قران ، قال فى المعجم : هى رستاق من رساتيق اليمامة وأهلها أفصح حنيفة .

ومنها : هوذة بن على وصهبان بن شمر سيدهم وهى قرب ملهم وهى التى تسمى الآن القرينة ، وللشعراء وفادات على هوذة ومدائح من أعظمهم الأعشى ، ومما قال فيه القصيدة التى مطلعها :

أحيَّتكَ تيا أم تُركتَ بَدائِكا ... وكانت قَتُولًا للرجالِ كذلِكا
وأقصرتَ عن ذكرِ البطالةِ والصِّبا ... وكانت سِفاهًا ضلةً من ضَلالِكا
وما كانَ إلا الحَيْنُ يومَ لقيتَها ... وقطعُ جَديدَىْ حَبلها عن حِبَالكا
وكانت تُرينى بعدَ ما نامَ صُحبَتِى ... بياضَ ثنايَاها وأسودَ حالِكا

ثم وصف الفقر والفاقة إلى أن قال :

إلى هوذةِ الوهابِ أُهدي مديحتى ... أُرجِّي نوالًا فاضِلًا عن عطائِكا
تجانِفُ عن جوِّ اليمامة ناقتِى ... وما عمَدت من أهلها لسوائِكا
ألمَّت بأقوامٍ فعافَت حياضَهم ... قَلُوصِى فكان الشربُ فيها بمائِكا
فلما أتَت آطامَ وأهلَه ... أناخت فألقت رحلها بفنائكا
سمعتُ برحبِ الباعِ والجودِ والنَّدى ... فألقيت دلوي فاستقت برشائِكا
وما ذاكَ إلا أنَّ كفَّيْك بالندَى ... يجُودانِ بالإعطاءِ قبلَ سُؤَالِكَا
فتًى يحملُ الأعباءَ لو كان غيرُه ... من الناسِ لم ينهضْ لها متمَاسِكا
وأنا الذِى عودْتَنى أن تَريشَنى ... وأنتَ الذى آويتَنى فى ظلالِكا

وإنك فى ما نابَنى بك مولَعٌ بخيرٍ وإنى مولَعٌ بثَنائِكا
وجدتُ عليًّا بانِيًا فورِثْتَه وطلقًا وشيبانَ الجوادِ ومَالِكا
ولم يسَع فى العلياءِ سعيَك ماجدٌ ولا ذو إناء فى الحيِّ مثلَ إنائِكا
وفى كل عامٍ أنت جاشمُ رحلةٍ تشدُّ لأقصاها عزيمٌ عرائِكا
مورثةٌ مالا وفى الحيِّ رفعةٌ لما ضاع فيها من قروءِ نسائكا

وقوله : تيًّا الظاهر إنه اسم محبوبته وقد تغزل بها فى أكثر قصائده كقوله :

عرفتُ اليومَ من تيًّا مُقاما بجوٍّ أو عرفتُ لها خِيَاما

وقيل : اسم إشارة بمعنى هذه وتجانف مال وعدل وجو اسم اليمامة فى الجاهلية حتى سماها الملك الحميرى لما قتل المرأة التى تسمى باسمها ، وقال الملك وقلنا فسموها اليمامة باسمها وقلنا للمريد إقامة ، وقال الأعشى فى مدح هوذة ويذم الحارث :

وإن امرؤ قد زرته قبل هذه بجو لَخيرٌ مِنك نفسًا وَوالِدا
واللؤم فى سوائك إلى غيرك .

وقال ابن لولا : دسوى وسوى بمعنى غير مكسور الأول ، مقصور يكتب بالياء وقد يفتح أوله فيمد ومعناه معنى المكسور ، وطلق وشيبان ، ومالك أعمام الممدوح وقوله لما ضاع فيها إلى آخره يعنى الغزوة التى شغلته عن وطء نسائه فى الطهر ، وهذه القصيدة تشبه أشعار المولدين فى الرقة والانسجام انتهى ملخصا من شرح شواهد عبد القادر بن عمر .

ومنهم : شمر بن عمر الذى قتل الملك المنذر بن ماء السماء يوم عين أباغ .

ومنهم : نجدة بن عويمر ، وأبو طالوت الخارجيان ، وأما عجل أخو حنيفة ، فيترفع منه بطون كثيرة ، ومن ولده أبو معدان ثعلبة بن حنظلة ،

صاحب القبة يوم ذى قار ، وكان يسمى مقطع الوظن والبطن لأنه يوم ذى قار قطع وظن أبطان بعير أمه ، وأبطان بعير ابنته ، ورمى بهما على الأرض لئلا يفروا ، وهو أول من غير سنة المشركين فى قسمة الغنائم أمر بقسم الغنائم التى غنموها من العجم ، وبعث إلى النبي ﷺ أي شيء يكون له فقال : إن له الخمس فبعثه إليه ، ولم يكن أحد سبقه إلى ذلك .

ومنهم أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل ، البطل الشجاع الذى يقول فيه ابن حبلة :

إنَّما الدنيا أبو دُلَفٍ ... بَادِيــــــه ومحتَضرُهْ
فإذا ولَّى أبو دُلَفٍ ... ولَّتِ الدُّنيا على أثَرِهْ

وعاقبه المأمون على هذا البيت فاعتذر بأنه لم يرض بقوله وقال : أصدق منه الذي يقول فى (١) :

* فما الكَرُّ فى الدنيا ولا الناسُ قاسمُ *

ثم إن المأمون أمر بقتل ابن حبلة وهو المسمى بالعكوك بأن ينزع لسانه من حلقه فقال لم أقتله لهذا ، وإنما قتلته لقوله فى مخلوق لا يضر ولا ينفع :

أنتَ الذِى تُنزِلُ الأيامَ مَنزِلَها ... وتَنقُلُ الدهرَ من حالٍ إلى حالِ
وما مددتَ مدَى الطرفِ إلى أملٍ ... إلا قضيتَ بأرزاقٍ وآجالِ

وكانت تضرب بشجاعة أبى دلف المثل ، قال ابن أبى فنن لمن يلومه على الجبن :

مالِى ومالَك قد كلَّفتَنى شطَطا ... خوضَ الحروبِ وقولَ الدراعين قِف
أمِنْ رجالِ المنايَا خِلْتَنى رجلًا ... أُمْسِى وأُصبح مُحتاجًا إلى التَّلفِ
تغدو المنايا إلى غيري فأسخطها ... فكيف أسعى إليها بارزَ الكتفِ
أم خِلتَ أنَّ ضعيفَ الرأيِ حرَّكنى ... أو أنَّ قلبِىَ فى جَنْبَىْ أبى دُلَفِ

---

(١) بياض بالأصل .

فبلغت أبياته أبا دلف فأجازه على ذلك وولاه المأمون نواحى فى العراق .

وأما يشكر بن بكر بن وائل فمنازلهم ملهم .

قال أبو عبيد فى المعجم ملهم حصن بأرض اليمامة لبنى غبراء من يشكر ، قال : وهو مذكور في رسم حرملاء .

قال أبو نخيلة يهجوهم لأنهم لم يقروه وسرقوا بثه وبث عجل صاحبه ويمدح أهل قران لأنهم قروه :

بِقِرانَ فِتيانٌ بِساطٌ أكُفُّهم ولكنَّ كرسوعًا بملهمِ أجذَبا
ألا تتقونَ اللهَ أن تَحرمُوا القِري وأن تَسرقوا الأضياف يا أهل مُلهَما

وقران هي التى تسمى القرينة ، وبنو غبر :هم الذين تسمى بهم غبيراء وغبيرية .

قال فى الجمهرة : غبر هو ابن غنم بن حبيب بن كعب منهم أسود ابن مالك بن عبد الله بن عبد ود بن عبد عوف بن كعب بن مالك بن حرقة بن مالك بن ثعلبة بن غنم ، أصحاب النخل باليمامة ، الذى يصرم فى السنة مرتين دعا لهم النبى ﷺ .

وأما تغلب بن وائل فمن مشاهيرهم : كليب بن ربيعة الذى كان يضرب به المثل فيقال : أعز من كليب وائل وهو رأس معدّ كلها ، وهو صاحب يوم خزاز حين أنف من تولى تبابعة اليمن عليهم وأخذ الضريب منهم انتصب لبنى معدّ وقتل رسول التبابعة ، وجمع حطباً كثيراً على الجبل المسمى خزازا ، وواعد قبائل العرب من ربيعة ومضر ، أنه إذا أوقد فيه أقبلوا إليه وحصنوا به لأنه عرف أن القحطانيين سائرون إليه لا محالة فاجتمعت عليه العرب ثم جرت الوقعة المشهورة التى كسر الله فيها أهل اليمن ، وهلك منهم خلائق قتلاً وأسراً ، ولم يكن لهم بعدها يد على بني معد ، ثم أنه تجبر بعد هذا وعظم صيته وصار يحمي الحمى من المراعى ، فلا يقربه أحد ،

فحمى فى بعض منازله فانفلتت منه ناقة لجارة لجساس يتيمة ، ووطئت بيض قنبرة قد باضت فى الحمى ، فقام إليها ورماها بالنشاب فشك ضرعها ، فعادت إلى صاحبتها يجرى دمها ولبنها ، فجزعت المرأة ، وصاحت وندبت جساسا بأبيات تشكو فيها ضيم كليب ، فقال : غدا يعقر جملا خيراً من ناقتك مضمرا قتل كليب ، فلما برز كليب للبراز تبعه جساس ، وصاحبه عمرو ، وطعنه وثارت الحرب بين تغلب وبكر ، وجرت بينهم وقائع عظيمة مدة سنين ، وانتدب لبنى تغلب مهلهل أخو كليب وترأس فيهم بعد أخيه ولم يزالوا حتى فنى من الطائفتين خلائق ثم اصطلحوا لما ملّوا من الحرب وفنوا فارتحل مهلهل وجلا إلى اليمن ونزل على جنب من قحطان إلى أن مات هناك .

وهذه الحرب تسمى حرب البسوس ، والبسوس هى المرأة اليتيمة صاحبة الناقة ، وسبب ارتحاله خذلان قومه بنى تغلب له لما ملّوا الحرب ، وغلبتهم بنو بكر ، فاضطروا إلى مصالحتهم كرها عليه فنجا بنفسه ، وكان معه ابنته عبيدة ، فخطبها أحد رؤساء جنب فامتنع لأنه لم يرهم كفؤاً للمصاهرة ، فاضطروه إلى تزويجها كرهاً فعند ذلك يقول :

أنكَحها فقدَها الأراقمَ فى جنبٍ وكان الحباءُ من أَدَمِ
لو بأَبانينَ جاء يخطُبُها خضب ماأنف خاطبٌ بدمِ

والحباء : المهر والأدم الجلود ، يشير إلى خساستهم وأبانين منازل بنى وائل وفلواتهم أبان ومتالع وعبيدة اليوم أهل العرين يتعلقون بالانتماء إلى نسلها .

وهذه الحروب أحد الحروب الثلاثة التى وقعت بين الأخوين ، وهذه حرب البسوس المذكورة ، وحرب الغبراء وداحس بين عبس وذبيان ، وحرب حاطب بين أوس والخزرج ابنى حارثة .

وكان هلاك مهلهل قتلاً على يد عبدين له أتعبهما بالمغازى فملّا واغتالاه فى الغزو ، وادّعيا موته .

ومن تغلب عمرو بن كلثوم الفاتك المشهور صاحب القصيدة إحدى السبع المعلقات ، وأعظم الفتكات ، قتله الملك الجبار عمرو بن المنذر أخو النعمان الذي يعرف بعمرو بن هند ، وهو الذي قتل من تميم مائة رجل بسبب طفل له استرضع فيهم فهلك ، وهو يلعب مع صبيانهم ، فحلف أن يقتل منهم مائة ففعل وسبب قتل عمرو أن من طغيانه قال يوماً فى مجلس أنسه لخواصه : هل تعلمون في العرب امرأة تأنف من خدمة أمي هند ؟ فقالوا : لا نعلم ؟ فقال رجل منهم : أنا أعلم أن ليلى أم عمرو بن كلثوم ماتدين لأحد تخدمة ، قال : ولِمَ ذلك ؟ قال : لأن أباها مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل أعز العرب الذي قتل التبابعة ، وأذل القياصرة والأكاسرة ، وبعلها كلثوم بن مالك أفرس العرب ، وابنها عمرو سيد قومه ، فكيف لا تأنف من خدمة أمك ، وكان بنو وائل من جملة العرب المطيعين لابن المنذر فقال : والله لأجرّبنها فبعث إلى عمرو بن كلثوم فقال : إنى مشتاق إلى زيارتك ووفادتك ، وإن هنداً مشتاقة إلى زيارة أمك ليلى على الحب والكرامة ، فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة إلى الحيرة فى جماعة بنى تغلب ، وأقبلت ليلى بنت مهلهل فى ظعن من نساء بني تغلب ، وأمر عمرو ابن هند برواقه فضرب بين الحيرة والفراة وأرسل إلى وجوه مملكته فحضروا فى وجوه بنى تغلب ، فلما وصلوا عدل عمرو فأناخ عند خيام الملك ، وعدلوا بليلى إلى خيمة هند اللاصقة لخيمة بنتها ، وكانت هند عمة امرئ القيس ابن حجر الشاعر المشهور ، وكانت أم ليلى بنت مهلهل ابنة أخى فاطمة بنت ربيعة أم امرئ القيس فاحتفل لهم بضيافة كبيرة وأوقد النيران فى مطابخ هند وليلى عندها .

وكان عمرو قد أعلم أمه هند أنه يريد أن تستخدمها بشيء ولو يسيرا فقالت لها بعد ما مضى بينهن محادثة وموانسة : ياليلى قومى كذا وكذا لشيء

حولها فقالت : المرأة تقوم لحاجتها فقالت : عزمت عليك فامتنعت فقالت لابد فقامت كارهة ذاهلة فرفعت صوتها واذلها : يابنى وائل فسمعها ابنها وسمعها الملك وهما فى مجلسه ، فعرف الملك أنها ممتنعة ، وعرف ابنها أنها مكرهة ، فثار الغضب في وجه الملك وعرف أنها ممتنعة ، وكان إذا غضب ثار الدم فى وجهه حتى يكون كأنه قد طلي بالدم وعرف عمرو بن كلثوم أنه يفعل معهم ما يكرهون ، لما يعلم من تجبره ، وفتكه ، فوثب إلى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق ، ليس هناك سيف غيره ، فضرب به رأس عمرو بن هند حتى أبانه عن جثته ، فاضطرب الحزب وبهتوا ، ونادى فى بنى تغلب فنهبوا ما فى الرواق من الآلات ، واستخرجوا أمه وركبوا رواحلهم وانصرفوا محتمين ، وحاشية عمرو بن هند قد ذهلوا عن طلبهم .

هذا ما ذكره ابن قتيبة وغيره فى صفة قتله ، وفى ذلك قال عمرو بن كلثوم القصيدة المشهورة عند العرب المعلقة (ألا هبي بصحْنِك) وقام بها خطيباً فى سوق عكاظ ، وفي موسم مكة المشرفة ، وبنو تغلب تعظمها جدا ، وتفتخر بها ويرويها صغيرهم وكبيرهم حتي هجوا بذلك وقيل فيهم :

ألْهى بنِى تغلبٍ عن كلِّ مَكرُمةٍ　　قصيدةٌ قالهَا عمرُو بنُ كُلثومِ
يَروُونها أبداً مُذْ كانَ أولَهم　　يالَلرِّجالِ لفخرٍ غَيرِ مسئومِ

وآل كلثوم هم سادات الأراقم الذين منهم عمرو بن تغلب بن كلثوم الذى من ولده مالك بن طوق ، ومن بنى جشم أحد الأراقم الستة : كليب ، ومهلهل ابنا ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ، صاحبا الرياسة والسيادة اللذان مضى ذكرهما .

ومن بطون تغلب : بنو عدى الذين منهم الأمراء الشجعان الكرام بنو حمدان ، رهط سيف الدولة ، وأخيه ناصر الدولة ، الأميران المشهوران بالثغور وديار بكر والموصل وغيرها ، فسيف الدولة هو على بن عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن راشد بن المثنى بن رافع بن

الحارث بن عطيف بن محربة بن الحارث بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب .

ومن تغلب : الوليد بن طريف الخارجي .

قال الذهبى قتل سنة تسع وسبعين ومائة وكانت قد اشتدت البلية به ، وكثر جيشه ، وسير إليه هرون الرشيد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى ، فراوغه على غرة بقرب هيت فظفر به فقتله ، وفى ذلك تقول الفارعة أخته :

بتلِّ شنائى رسمُ قبرٍ كأنه ... على علَمٍ فوقَ الجبالِ مُنيفِ
تَضمَّن جُودًا حاتِميًّا ونائِلا ... وسَوْرَةَ مِقدامٍ وقلْبَ حصيفِ
ألا قاتَلَ اللهُ الجثاجثَ أضمرت ... فتًى كانَ للمعروفِ غيرَ عيوفِ
خفيفٌ على ظهرِ الجوادِ إذا غدَا ... وليس على أعدائهِ بخفيفِ
أيا شجَر الخابورِ مالكَ مُورقًا ... كأنكَ لم تجزعْ على ابنِ طريفِ
فتًى لا يحبُّ الزادَ إلا من التُّقى ... ولا المالَ إلا من قنًى وسيوفِ
ولا الذُّخرَ إلا كلَّ جرداءَ شطبةٍ ... وكلَّ رقيقِ الشفرتينِ خفيفِ
حليفُ النَّدا ما عاشَ يرضَى به النَّدَا ... فإنْ ماتَ لم يرضَ النَّدَا بحليفِ
فقدْناهُ فُقدانَ الشبابِ وليتَنا ... فديناهُ من ساداتِنا بألوفِ
وما زال حتَّى أزهقَ الموتُ نفسَهُ ... شجًا لعدوٍّ أو لجَا لضعيفِ
ألا يالقومٍ للنوائبِ والردَى ... ودهرٍ ملحٍّ بالكرامِ عنيفِ
فإن يكُ أرواهُ يزيدُ بنُ مزيدٍ ... فرُبَّ زحوفٍ لفَّها بزُحوفِ
عليكَ سلامُ اللهِ وقفًا فإنني ... أرى الموتَ وقَّاعا بكل شريفِ

وقالت أيضا :

يا بنِى وائلٍ لقد فجعتكُم ... مِن يزيدٍ سيوفُه بالوليدِ
لوْ سُيوفٌ سِوى سيوفِ يزيدٍ ... قاتلته لافَت خِلافَ السُّعودِ
وائلٌ بعضُها يقتلُ بعضًا ... لا يَفلُّ الحديدُ غيرَ الحديدِ

ومنهم : الأخطل الشاعر ؛ وأما عنز بن وائل فولد رفيدة وإراشة ويقال : إن بعض ولده دخلوا فى خثعم .

ومن ربيعة بنو النمر بن قاسط أخو وائل ، منهم : عامر بنو النمر الضحيان ربع ربيعة أربعين سنة .

ومنهم : أيوب بن زيد البليغ الذى يقال له ابن القرية ، ومن ربيعة بنو عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، وولد عبد القيس أفصى واللبوء ، وولد أفصى شنا وأكيزا ، وأما اللبوء وإخوته لأمه بكر وتغلب وعنز ، وكانوا أحد رجال العرب الستة فكانت مملكتهم هجر والبحرين والقطيف ونواحيهما .

ولم يزالوا يتداولون الولاية ، حتى كان آخرهم بنو العياش بن سعيد ، رئيس بني محارب بن عمرو بن وديعة بن أكيز بن أفصى بن عبد القيس ، والعريان رئيس بنى مالك بن عامر ، وهو العريان بن إبراهيم بن الزحاف بن العريان بن مورق بن رجاء بن بشر بن صهبان بن الحارث بن وهب بن ضبة ابن كعب بن عامر بن معاوية بن عبد الله بن مالك بن عامر البطن المشهور ، الذي نسب إليه عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة وذلك أن عبد القيس حين اختلفت كلمتهم ، وهن أمرهم بالبحرين فوثب القرمطي أبو سعيد الحسن بن بهرام على القطيف ، وهو يومئذ ضامن مكوسها وفرضتها ، وقد جمع مالا عظيما ، فاستمال به قلوب الناس وكانت رياسة القطيف يومئذ لبني جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة ، فجمع أبو سعيد جيشا عظيما من أهلها ومن البادية ومن أهل عمان وحاربهم حتى ملكها بعد أن أحرق اللزازاة ، وهى دار مملكتها ، ثم سار إلى الأحساء بجموع عظيمة وفيها آل العياش وآل العريان ومن يتعلق بهم وحاربهم حتى هزمهم وملك الأحساء ثم جمع من فيها من عبد القيس فى محلة منها تسمى الرمادة وأضرمها عليهم نارا وقد أعد لهم الرجال بالسلاح

حولها فمن خرج قتلوه ومن لم يخرج أكلته النار ، فهلك قوم لا يحصى عددهم .

وكان فيهم من القراء خلق كثير ، وقتل أبو سعيد سنة ٣٠٠ ، وتولى بعده ابنه النجيس سليمان المكنى بأبي طاهر وذكر أهل العلم أن خيله كانت تبلغ الشام والعراق ومكة وعمان ، وأنه نهب البصرة والكوفة ، وجانب بغداد الغربي ولو لم يقطع الجسر لدخل الشرقي .

وكان عسكره ألف رجل ونهب الحاج وكان فيهم يومئذ عشرون أميراً ، تحت يد كل أمير ألف فارس ، وكان أمير الحاج أبو الهيجاء ابن حمدان والد سيف الدولة ، ومعه من بنى تغلب ألف فارس ، ومن بني شيبان ألف فارس ، فالتقاهم جيش القرمطي ، فصارت الكرة على الحاج فقتلوا منهم قتلى كثيرة وأسروا أبا الهيجاء وجماعة من أشراف قومه وأسروا الوزير بن أبي الساج وأغار أبو طاهر على مكة وبلغت جيوشه البيت الحرام ، وقلع الحجر الأسود ، والميزاب وحملها إلى البحرين ، وبنى بالقطيف بيتاً سماه الكعبة وقال : اصرف الحج إليه ، وكان ذلك سنة ٣١٢ وكان مردهما ٣٣٥ بعد موته .

ولما قتل الحاج استبقى أهل الصناعات منهم وحملهم إلى البحرين ، وكان عدة ما فى الحاج من الجمال المحملة اثنين وثمانين ألفا ، فغنمها كلها وذهب بأبى الهيجاءَ ووزير الخلافة إلى البحرين أسرى مدة ، ثم خلى سبيلهما بفداء صار إليه .

ثم إن أبا طاهر سار إلى الكوفة سنة ٣١٥ وسار إليه يوسف بن أبي الساج من واسط وكان المقتدر قد قلده نواحي الشرق فسار بعسكر نحو أربعين ألفاً وكانت القرامطة ألفا وخمسمائة منهم سبعمائة فارس فلما رآهم احتقرهم وقال صدروا الكتب للخليفة بالفتح فهؤلاء فى يدى واقتتلوا فحملت القرامطة وانهزم عسكر الخليفة ، وأخذ ابن أبي الساج أسيراً ثم قتله

أبو طاهر واستولى على الكوفة ، وأخذ منها شيئا كثيراً ثم جهز المقتدر إليهم مؤنساً الخادم فى عساكر كثيرة ، فانهزم أكثر العسكر منهم قبل الملتقى ، ثم التقوا فانهزمت عساكر الخليفة ووقع الجفل ببغداد خوفا منهم ، ونهبوا غالب البلاد الفراتية ، ثم عادوا إلى هجر بالغنائم .

وكان أبو سعيد حين ملك البحرين دعا إلى نفسه أنه صاحب الأمر ، وأبطل الصلاة والزكاة والصوم وجميع الشرائع ، وهدم ما فيها من المساجد وموه على ضعفاء الناس ، وكان قد استمال قبائل من العرب من الأزد وغيرهم من اليمن ومن قيس عيلان وعامر بن ربيعة وعايذ وقباث وغيرهم من قبائل عامر بن صعصعة .

ولم يزل ملكهم حتى قام لحربهم عبد الله بن علي بن محمد بن إبراهيم العيوني العبقسى جدّ الأمراء العيونيين ، فقام بأربعمائة رجل على القرامطة ومن معهم من اليمن ، ومن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة خفرة البحرين والقطيف فحاربهم سبع سنين ، حتى انتزع الملك منهم ومن اليمن وعامر ، واستأصل عامراً وغنم أموالهم وذراريهم ، ولم ينج من رجالهم إلا رئيسهم أحمد بن مسعر وأبو فراس بن الشباش ، وبعد ذلك منّ على الحريم والذراري وسيرهم إلى عمان وكان القرامطة يومئذ فى ثمانين أميراً .

وكانت ذكور خيل بنى عامر ومن معهم من قيس تبلغ ألفا وأناثها أكثر ، وكان ملك عبد الله بن على الأحساء سنة ٤٧٠ .

وكانت اليمن قد شركت القرامطة فى الأمر عند ضعفهم ، وهلاك خلق كثير من ربيعة كانت بعثتهم القرامطة ، إلى أوال لينتزعوا الملك من أبى البهلول العوام بن محمد بن يوسف بن الزجاج أحد عبد القيس ، وكان قد غلب القرامطة عليها وخطب له فيها بالإمارة .

وكانت للعجم يد على هذه الناحية ، وكان قاضى بلاد تاروت فى جيش عظيم قد سبقه إليها ملك آخر ، فى عسكر عظيم على طريق البصرة

من جهة حمار تكين يريدون ملكها على عبد الله بن علي ، فلما وصلوا إلى الأحساء قلب عبد الله الرأى فلم يجد غير استقبالهم بإظهار الطاعة ، والتجمل فى الأفعال ، إلا أنه لم ينزلهم فى القصر ، بل أقام لهم الإنزال أياما ، وبعث إلى أمرائهم وأشار عليهم بالمسير إلى عمان ورغبهم فى ملكها فوصف لهم كثرة ما بها من الذهب والفضة ، وثياب الإبريسم ، والمتاعات وغيرها ، فرغبوا فى ملكها وطلبوا منه الإدلاء فبعث إلى قوم من بنى الخارجية ممن يسكن الرمل الذى بينه وبين عمان فجاءوه فتقدم إليهم بأن يدلوهم على الطريق وقد أسرّ إليهم بأن : إذا توسطتم بهم الرمل ونفذ ماؤهم فأنزلوا بهم ، فإذا ذهب شطر الليل وناموا فانسلوا عنهم بحيث لا يرونكم ، وامضوا ، فامتثلوا فحين توسطوا بهم الرمل ذهبوا فتركوهم ، فهلكوا جميعا ، ولم يسلم منهم إلا شخص واحد بلغ به فرسه الأحساء ولا يدرى أين هو ذاهب .

وذلك فى سنة أربعمائة وأربع وسبعين ، وأما أوال فانتزعها يحيى بن عباس وصارت إلى زكريا بن يحيى ، وكان حين قتل أخوه الحسن بن يحيى جهز جيشه إلى الأحساء ، فلما بلغ قرية من سوادها تسمى ناضرة أتى الصريخ عبد الله بن علي بجنوده فالتقوا هناك فهزمت سرية زكريا ونهبت أمتعته ورحاله ، وانهزم وأتبعه عبد الله فى ألف فارس أو أكثر ، حتى بلغ القطيف فلم يطمع زكريا أن القطيف تمنعه ، فعبر إلى جزيرة أوال ، فأتبعه الفضل بن عبد الله ، وقاتله بمن معه حتى قتل الأمير فضل العكروت ، أشجع أصحاب زكريا فانهزم زكريا وركب البحر وخرج منه إلى العقير ، واجتمع بقوم من البادية ، وجند جنودا من العرب ، وأغار بهم على القطيف ، فلقيه عبد الله وحمل على جنوده فهزمها ، وقتل زكريا بن يحيى واستقر ملك البحرين جميعا فى يد عبد الله ولم تزل فى أيدي بنيه وأهل بيته يتداولونها ، وكانوا ملوكا عظاماً وأجواداً كراماً .

ولابن عمهم علي بن المقرب فيهم القصائد الطنانة ، مدحاً لهم

وافتخاراً بهم ، وحثا لهم على مكارم الأخلاق ، وعتاباً موجعاً ، وحماسة وشكايات ونصائح .

وأكثر أفخاذه بنو وائل لأنهم بنو عمهم مجتمع عبد القيس ، مع بني وائل فى أفصى ، ووائل هو بن قاسط بن هنب بن أفصى ، فيكون وائل بن أخي عبد القيس وكان جده أبو مقرب ، الأول واسمه الحسن بن غريف ، ويلقب بالحاشر لشدة صوته وبأسه ، وهو ابن عم عبد الله بن على ، يجتمع معه فى على بن عبد الله بن على بن عبد الله بن محمد ، وجعله عبد الله فى شيء من الإمارة .

وكان يركب أمام عبد الله يوم العيد إلى المصلى ، وحوله موكب عبد الله ، والستر مرفوع على رأسه ، والأعلام حوله وأمامه ، وكانت أمور جميع السلطنة ترد إليه ، وكان يلبس سوار الملك ، وكان مع ذلك العز والعظمة عابداً عالماً صواماً عفيفاً رءوفا بالرعية ، وله من الولد الذكور ثمانية ، وكان الملك والسلطنة في بنى عبد الله بن على العبقسى العيوني المذكور ، ونسبته إلى العيون ناحية من نواحي الأحساء من البحرين ، زعموا أنه كان بها أربعمائة كلها تجرى وتسقى بساتين وكانت بلداً عظيمة ، ثم إن الرمل أخرب أكثرها وإنما بسطنا الإشارة إلى هذه القبيلة وتملكاتهم وحروبهم لأنهم أشهر متأخرى عبد القيس .

ومن بني عبد القيس : الأشجع العصرى ، والجارود الجذيمى ، الوافدان على رسول الله ﷺ .

وأما إياد بن نزار أخو ربيعة ومضر ، فمنه بطون كثيرة ، منهم : أبو حذافة الذين منهم أبو ذواد الشاعر ، ومن إياد كعب بن مامة الجواد الذى يضرب به المثل وأبوه مامة كان ملك إياد .

ومنهم قس بن ساعدة الخطيب الحكيم البليغ .

قال الحافظ ابن كثير لما ذكر طرفاً من أخباره من رواية الخرائطى

والطبراني والبزار والبيهقى وأبى نعيم من قدوم وفد إياد ، وسؤال الرسول ﷺ إياهم عن قيس ، وذكر رؤيته إياه بسوق عكاظ يعظ الناس .

ثم إن ابن كثير بعد أن ذكر الروايات قال : أخبرنا الشيخ المسند أبو العباس أحمد بن أبى طالب الحجار إجازة قال أجاز لنا جعفر بن على الهمداني ، حدثنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفى وقرأت على شيخنا الحافظ الذهبى أخبرنا أبو الحسن ابن على الخلال أخبرنا جعفر بن على أخبرنا السلفي حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الرازى حدثنا أبو الفضل محمد بن أحمد السعدى ، حدثنا أبو الهيثم عبد الله بن أحمد المقرى ، حدثنا أبو محمد بن درستويه النحوي ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم السعدي ، قاضى فاس ، حدثنا داود بن سليمان بن سيف بن يحيى بن درهم الطائى ، حدثنا أبو عمرو سعيد بن يزيع ، عن محمد بن إسحق ، حدثنا بعض أصحابنا من أهل العلم ، عن الحسن البصرى قال : كان الجارود العلى العبدى نصرانيا ، حسن المعرفة بتفسير الكتب ، عالما بسير الفرس ، بصيرا بالفلسفة والطب ، كامل الجمال ، ذا ثروة ومال ، وأنه قدم على النبي ﷺ وافداً فى رجال من عبد القيس ، فلما وقف بين يديه أنشأ يقول :

يانبيَّ الهُدى أتتْكَ رجالٌ ... قطَعَتْ فَدْفَدًا وآلًا فآلَا
وطوَتْ نحوَكَ الصحاصِيحُ تهوِي ... لا تعدُّ الكلالَ فيك كلالَا
وطوتْها العِتاقُ تجمَحُ فيها ... بكُماتٍ كأنجُمٍ تتَلَالَا
تبتغي دفعَ بأسِ يومٍ عظيمٍ ... هائلٍ أوجَعَ القلوبَ وَهَالَا
ومزاراً لمحشَرِ الخلقِ طُرًّا ... وفِراقًا لمن تمَادَى ضَلَالَا
نحوَ نورٍ من الإلٰهِ وبُرْها ... نٍ وبرٍّ ونعمةٍ أن تنَالَا
خصكَ اللهُ ياابنَ أمةِ الخيرِ ... بها إذا أتَتْ سِجَالًا سِجَالَا
فاجعلِ الحظَّ مِنك ياحجةَ اللهِ ... جزيلًا لاحظَّ خلفَ أخالَا

قال فأدناه النبي ﷺ وقرب مجلسه ، ثم ذكر إسلامه وإسلام من معه ، ثم قال : أفيكم من يعرف قسّ بن ساعدة ، فقال الجارود : فداك أبي وأمي ، كلنا يعرفه ، كان سِبطا من أسباط العرب ، عمّر ستمائة سنة ، أدرك رأس الحواريين سمعان .

وهو أول رجل تأله من العرب ، وأيقن بالبعث والحساب ، وحذّر سوء المآب ، وهو القائل بسوق عكاظ : مشرق ومغرب ، وسلم وحظ ، ويابس ورطب ، وأُجاج وعذب ، وشموس وأقمار ، ورياح وأمطار ، وليل ونهار ، وحب ونبات ، وآباء وأمهات ، وجمع وأشتات ، وآيات في إثرها آيات ، ونور وظلام ، ويسر وإعدام ، ورب وأصنام ، لقد ضلّ الأنام تبًّا لأرباب الغفلة ، ليصلحن العامل عمله ، وليفقدن آمل أمله ، كلا بل هو إله واحد ، ليس بمولود ولا والد ، أعاد وأبدى ، وأمات وأحيا ، وخلق الذكر والأنثى ، رب الآخرة والأولى .

وهو أول من قال : أما بعد : فيا معشر إياد ، أين ثمود وعاد ، أين الآباء والأجداد ، وأين العليل والعواد ، كل له معاد يقسم قسّ برب العباد ، وساطح العماد ، لتحشرن على انفراد ، في يوم التناد ، إذا نُفخ في الصور ونُقر في الناقور ، وهو القائل :

ذكر القلبُ من جواهُ الدكار ... وليالٍ خلافهن نهارُ
وسجالٌ هواطلٌ من غمامٍ ... تُرنَ ماءً وفي جَواهُنَّ نارُ
ضوؤها يطمس العيون وإرعا ... د شداد في الخافِقَينِ تُطَارُ
وجبالٌ شوامخٌ راسياتٌ ... وبحارٌ مياهُهُنَّ غِزَارُ
ونجومٌ تلوحُ في ظُلَمِ الليـ ... ـلِ تراهَا في كلِّ يومٍ تُدارُ
ثم شمسٌ يحُفُّها قمرُ الليـ ... ـلِ وكلٌّ تابعٍ مَوَّارُ
وصغيرٌ وشَمْطٌ وكبيرٌ ... كلُّهم في الصعيدِ يومًا مَزَارُ
فالذِي قد ذكرتُه دلَّ علَى اللـ ... ـهِ نفوسًا لها هدسٌ واعتبارُ

فقال رسول الله ﷺ : « مهما نسيت فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول : يا معشر الناس : اجتمعوا فكل من مات فات ، وكل آت آت ، ليل داج وسماء ذات أبراج ، وبحر ثجاج ، ونجوم تزهر ، وجبال مرسية ، وأنهار مجرية ، إن فى السماء لخبراً ، وإن فى الأرض لعبرا ، مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالإقامة فأقاموا ، أم تُركوا فناموا .

أقسم قسّ بالله قسما لا ريب فيه ، إن لله دينا هو أرضى من دينكم هذا » ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « رحم الله قُسًّا أما إنه سيبعث يوم القيامة أمة وحده » .

قال : وهذا الحديث غريب من هذا الوجه وهو مرسل إلا أن يكون الحسن سمعه من الجارود فالله أعلم .

وقد رواه البيهقى وابن عساكر من وجه آخر فذكر مثله أو نحوه ، ثم رواه البيهقى من طرق ، ثم قال : وإذا روى الحديث من وجه آخر وإن كان بعضها ضعيفا دل على أن للحديث أصلا انتهى .

وأما بنو أنمار أخو ربيعة ، فدخلت قبائلهم فى أهل الحجاز ، وصاروا فى خثعم وأكلب ، وقبائلهم مع بطن من عنزة واستوطنوا بيشة ونواحيها انتهى ما لخصناه من أنساب العرب الأولين التى تتفرع منها قبائل الزمان ، وتنتسب إليها وإن كان لا يمكن فى الغالب إعلاق أجداد المتأخرين بالمتقدمين جَدًّا جَدًّا ، فليس إلا الاستفاضة ، وانتساب كل قبيلة إلى قبيلتها ، والله أعلم [وصلى الله على محمد] [1] .

---

(١) آخر أحد الأصلين وكل ما بين قوسين فمنه . مصححه ابن قاسم .

فصـــل

قال أهل السير والأخبار : كانت الجاهلية قبل المبعث فيهم بقايا من دين إبراهيم ، مثل : الحج والطواف بالبيت والسعي وإهداء البدن ، وغير ذلك من تعظيم البيت ، وكانت نزار تقول فى إهلالها : لبيك لا شريك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك .

وقال الشهرستانى فى الملل والنحل : والعرب الجاهلية أصناف : فصنف أنكروا الخالق والبعث ، وقالوا بالطبع المحيي كما أخبر عنهم فى التنزيل : ﴿ وقالوا مَا هِىَ إلّا حياتُنا الدُّنيَا نَمُوتُ ونَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إلَّا الدَّهْرُ ﴾ (١) وصنف اعترفوا بالخالق وأنكروا البعث وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله : ﴿ أفعَيِينَا بالخلقِ الأوَّلِ ﴾ (٢) الآية .

وصنف عبدوا أصناما مختصة بقبائل مثل : ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر واللات والعزى وهُبل ، وهو أعظمها ، وكان على ظهر الكعبة .

وكان منهم من يميل إلى اليهودية ، ومنهم من يميل إلى النصرانية ومنهم من يميل إلى الصابئة ، مثل الاعتقاد فى الأنواء ، وعلم النجوم ، حتى لا يتحرك إلا بنوء منها ، ويقول : مطرنا بنوءِ كذا ؛ ومنهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الجن .

وكانت تفعل الجاهلية أشياء جاء الإسلام بها ، وكانوا لا ينكحون الأمهات ولا البنات ، وأقبح ما يصنعون الجمع بين الأختين ، وكانوا يحجون البيت ، ويُحرمون ، ويَعتمرون ، ويطوفون ، ويقفون المواقف كلها ، ويرمون الجمار ، ويغتسلون من الجنابة ، ويداومون على : المضمضة والاستنشاق والسواك والاستنجاء ، وقلم الأظفار ونتف الإبط ، وحلق العانة ، والختان ، ويقطعون يد السارق اليمنى ، وكانت علومهم علم الأنساب والأنواء والتواريخ وتعبير الرؤيا .

---

(١) سورة الجاثية الآية : ٢٤ .
(٢) ق : ١٥ .

فصــــل

فى نسب نبينا محمد ﷺ ومبعثه ومولده وما بعد ذلك على سبيل الاختصار لاشتهاره فى السِّيَر والتواريخ

أما نسبه ﷺ فهو : محمد بن عبد الله ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، بن قُصيّ ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فِهْر (وهو قريش) بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، بن إلياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، ابن عدنان إلى هنا متفق عليه .

ولا خلاف أنه من ولد إسماعيل ، وكانت ولادته يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول عام الفيل ، وكان قدوم الفيل منتصف المحرم تلك السنة .

ولما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله إلى الناس جميعاً ناسخا بشريعته الشرائع الماضية ، وكانت دعوته إلى الإسلام سرًّا ثلاث سنين ، ثم أمره الله بإعلان الدعوة ، ووقع عليه الأذى من قريش وعلى من أسلم ، فأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة .

وكان أبو طالب يذبّ عنه إلى أن مات ، واشتد أذاهم عليه بعد موته .

ثم هاجر إلى المدينة ، ثم أذن له في القتال ، وغزواته وجهاده مشهورة فى كتب السير .

فلما كانت سنة عشر جاءته وفود العرب قاطبة ، فدخل الناس فى دين الله أفواجا كما قال تعالى : ﴿ إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ ﴾ ثم حج حجة الوداع ثم رجع إلى المدينة فأقام بها حتى خرجت السنة .

ودخلت سنة إحدى عشرة ، فابتدأ مرضه ليلتين بقيتا من صفر ، وتوفى يوم الاثنين من اثنى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .

ولما مات ارتد أكثر العرب ، إلا أهل مكة والمدينة والطائف وأفراد من أحياء العرب .

فلما توفى بايع الناس أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، فأقام سنتين ، وثلاثة أشهر ، وتسعة أيام .

وبويع عمر بن الخطاب فأقام عشر سنين ، وستة أشهر ، وخمس ليال ، وقتله أبو لؤلؤة ثالث عشر ذى الحجة ، وأوصى بالخلافة شورى .

فوجهت إلى عثمان ، فبويع فى أول المحرم ، وأقام اثنتى عشر سنة ، وتوفي سنة ٣٥ شهيداً فى داره .

وبويع على بن أبي طالب ، فأقام أربع سنين ، وتسعة أشهر ، وقتله ابن ملجم الخارجي ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة ٤٠ .

وبويع ابنه الحسن يوم مات أبوه ، فأقام ستة أشهر ، ثم خلع نفسه طائعا فى ربيع الأول سنة ٤١ ، مختاراً الجماعة على الفرقة ، وحقن الدماء عن سفكها ، وإلا فقد بايعه أكثر من أربعين ألفا على حرب معاوية ، وصدق عليه قول النبي ﷺ فى الحسن : « إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » .

وفى الحديث : « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا » .

وكان آخر ولاية الحسن تمام الثلاثين ، وحينئذ تمت لمعاوية الخلافة العامة ، وهو أول خلفاء بنى أمية ، وكانت بالشام ، وعدة الخلفاء فيهم أربعة عشر ، وكانت أمراؤهم وعمالهم بمصر ، والشام ، والحجاز ، وخراسان ، والهند ، والصين ، والمشرق ، والأندلس ، وسائر المغرب ، وسائر أقطار الإسلام ، ومدتهم اثنتان وتسعون سنة .

فأولهم معاوية المذكور بويع بالخلافة العامة فى ذى الحجة ببيت المقدس سنة ٤٠ ، وتوفى سنة ٦٠ بدمشق ، وآخرهم مروان بن محمد بن مروان الملقب بمروان الحمار ، فلم يزل يجالد دعاة بنى العباس ، وقد قام فى محاربته أبو مسلم الخراسانى ، وغيره من دعاتهم من أهل العراق وخراسان ، وتلك النواحي حتى أثخنوه .

وأراد الله انقضاء الدولة الأموية يقال : إنه عرض جيشه فبلغ أربعمائة ألف مقاتل ، غارقين فى السلاح والعدة ، والخيول ، فلما رأى البوار ورأى أمر أهل العراق يعلو ، ورأى الفشل فى عسكره قال : ياله من عدد وعدة ، ولكن إذا انقضت المدة لم ينفع العدد والعدة ، فكسر جيشه واتبعهم عسكر العراق ، يقتلون ويسلبون ، ولم يزل مروان ينتقل من بلد إلى بلد هاربا ، وكلما مرّ بقرية خذلوه ، والطلب فى أثره حتى لحقوه ، فى ناحية بوصير من أرض مصر ، عام اثنين وثلاثين ومائة ، فقتل هناك فى شهر ذي الحجة .

ثم جاءت الدولة العباسية ، وكانوا بالعراق فتتبعوا بقايا بنى أمية حتى استأصلوهم قتلاً ، فلم ينج منهم إلا من هرب إلى الأندلس ، وغيره ممن تشتتوا فى البلاد ، ونبشوا قبور أمواتهم مثل : قبر معاوية وابنه يزيد وعبد الملك وهشام .

وكان ممن نجا من بنى أُمية عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، هرب إلى المغرب ، ثم استولى على الأندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة وبنَى سور قرطبة ، ومات بها سنة ١٧١ .

ولم يزالوا يتداولون الخلافة بالمغرب ، ويخطب لهم بالأمير ، إلى أن تولى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك فلم يزل والياً إلى أن توفى سنة ٣٥١ وكانت إمارته خمسين سنة ونصفا ، وهو أول من تلقب بألقاب الخلفاء وتسمى بأمير المؤمنين ، وسببه لما وهت أركان الدولة

العباسية ، وتغلب القرامطة والمبتدعة ، قويت همته وقال : أنا أوْلى بالخلافة والتولِّى على أكثر الأندلس ، وكان له الهيبة الزائدة ، والجهاد ، والسيرة المحمودة ، استأصل المتغلبين ، وفتح سبعين حصنا ، واستوطن قرطبة .

قال أحمد المقرى فى كتابه نفحة الطيب : قال بعض المؤرخين حين ذكر قرطبة ما ملخصه هى قاعدة بلاد الأندلس ، ودار الخلافة الإسلامية ، وأهلها سراة الناس ، وبها أعيان العلماء وسادات الفضلاء ، وهى خمس مدن ، بين المدينة والمدينة سور عظيم ، وفي مدينتها الوسطى الجامع الذى ليس في معمور الدنيا مثله ، فيه من السوارى الكبار ألف سارية ، وفيه مائة وثلاث وعشرون ثريا للوقود ، أكثرها يحمل ألف مصباح ، وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر على وصفه ، وجملة ما صرف على منبره لا غير ، عشرة آلاف مثقال وخمسون مثقالا ، وفيه مصحف يقال : إنه مصحف عثمان ، وقد اختلفوا فيه ، وفعل له الملوك آنية ، وكراسى ، وأكسية ، وصناديق من الذهب والفضة ، والأشياء الأنيقة وللجامع عشرون باباً مصفحات بالنحاس ، وفيه المنارة العجيبة التى ارتفاعها مائة ذراع ، بالمكى المعروف بالرشاشى .

وأكثر ما توسعت قرطبة وجامعها وزاد فى عمارتها الأمير عبد الرحمن ابن معاوية وأكمله سنة ١٧٦ ثم زاد فيه هشام ابنه عبد الرحمن لما تزايد الناس ، وأتمها ابنه محمد ، ثم ذكر ما جدد الخليفة الناصر ، قال : ولما ولى الخليفة المنتصر بعد الناصر ، وقد اتسع نطاق قرطبة ، وكثر أهلها ، وضاق جامعها ، زاد فيه الزيادة العظمى .

قال ابن بشكول : نقلت من خط المنتصر ، أن النفقة فى هذه الزيادة انتهت إلى مائة ألف دينار وخمسمائة وسبعة وثلاثين دينارا ودرهمين ونصف ، ثم إن الناصر المذكور بنى الزاهرة .

قال المقري عن ابن خلكان : ما صورته الزاهرة من عجائب أبنية

الدنيا ، ابتناها أبو المظفر الناصر ، بالقرب من قرطبة ، وبينهما أربعة أميال وثلثا ميل ، فى أول سنة ٣٢٥ ، وطولها من الشرق إلى الغرب ألفان وسبعمائة ذراع ، وعرضها ألف وخمسمائة ، وعدد سواريها ألف وثلاثمائة سارية ، وأبوابها تزيد على خمسة عشر ألف باب .

وكان الناصر يقسم جباية الأندلس خمسة آلاف ألف دينار وأربعمائة وثمانين ألفا ، وهى من أهول ما بناه الإنس ، كان يتصرف فى عمارتها من الخدام والفعلة ، عشرة آلاف رجل ، ومن الدواب ألف وخمسمائة دابة ، وكان يثيب على كل رخامة .

وذكر ابن حبان المؤرخ وصاحب الشرطة أنهما قالا : اشتملت على أربعة آلاف سارية ما بين صغيرة وكبيرة ، وحاملة ومحمولة ، والله أعلم .

وقال بعض من أرخ الأندلس : كان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألفا وسبعمائة وخمسين فتى ، ودخالتهم من اللحم كل يوم من غير أنواع الطير والحوت : ثلاثة عشر ألف رطل ، وعدة النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار ، وخدم الخدمة ستة آلاف وثلاثمائة امرأة ، والمرتب من الخبز لحيتان بحيرة الزهراء اثنا عشر ألف خبزة كل يوم ، وينقع لها من الحمص الأسود ستة أقفزة انتهى .

وكان الناصر يقسم الجباية أثلاثا : ثلث للجند ، وثلث للبناء ، وثلث مدخر لما ينوب القصر ، وكانت جباية الأندلس يومئذ من الكور والقرى : خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ومن الستوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار .

وأما أخماس الغنيمة فلا يحصيها ديوان ، قال : وفى بعض تواريخ الأندلس كانت قرطبة قاعدة الأندلس ، وكانت عدة الدور فى القصر الكبير أربعمائة دار ونيف وثلاثون ، وعدد دور الرعاية والسواد بها مائة ألف دار

وثلاثة عشر ألف دار ، حاشا دور الوزراء والكتاب ، وأكابر الناس ، وهذا العدد أيام المتونة والموحدين .

وقال فى كتاب مجموع المعرف : كان جميع ما فى الجامع من الأعمدة ألف عمود ، ومائتا عمود ، وثلاثة وتسعون رخما كلها وباب مقصورته ذهب ، وكذلك جدار المحراب .

ولم يزل الأمويون يتداولون الخلافة إلى أن كثر الاختلاف ، واشتدت الفتن ، وتغلب الوزراء ، ورؤساء الرعايا ، فكان آخرهم محمد بن هشام بن محمد ، ثم خلعه الجند وفرّ إلى داره فهلك بها سنة ٢٨٠ ، وانقطعت الدولة الأموية من أرض الأندلس أو المغرب ، انتهى ما لخصنا من نفحة الطيب ، وغيره .

وإنما ذكرنا هذه النبذة من أحوال بنى أمية لما فيها من المواعظ والاعتبار ، والنظر إلى تصاريف الأقدار ، والتنبيه للإنسان بعدم الاغترار ، بما ملك فى هذه الدار .

فإن خلافة بنى أمية الأولى بلغوا فيها الغاية من المُلك ، والرياسة ، والتنعم ، والسرور ، ثم نكبوا نكبة استأصلتهم ، ثم نجم هذا الفريد الوحيد فساعده القدر وأقام هذه الدولة العظيمة بالمغرب ، وتداولها بنوه وجرى لهم فى أيامهم ما ذكرنا من التنعم واللذات والسرور ، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة ، والأنعام والحرث ، ثم زالت تلك الدولة ، كأن لم تكن وخربت تلك المدائن والقصور كأن لم تسكن .

وبعد هذا استولت عليهم ملوك الطوائف ، من البربر وغيرهم ، ثم استولت النصارى على قرطبة وما هنالك ، فقتلوا ، وسبوا ، واستأصلوا ، ودمروا ، ثم عادت خرابا ، فليعتبر العاقل ، ولا يغتر بالدنيا وزخرفها ، قال بعض البلغاء :

دَعِ الدُّنيا ولا تركنْ إليها ... فزُخرُفُها سيَذْهَبُ عَنْ قليلِ
وإنْ ضحِكَت فإنَّ الضِّحْكَ منها ... كضِحْكِ السيفِ فى وجهِ القتيلِ

ومثله قول أبى الفرج الساوى ، مذكرا وواعظاً ، بحال سلطان الشرق والعراقين ، وحالة فخر الدولة ابن ركن الدولة بن بويه الديلمي راثياً له :

هى الدنْيا تقولُ بمِلءِ فيهَا ... حَذارِ حَذارِ من بطشي وفَتْكِي
فلا يَغْرركُمْ حُسنُ ابتسامِي ... فَقولِى مُضحِكٌ والفعلُ مُبْكِ
بِفخْرِ الدولةِ اعتبرُوا فإنِّى ... سلبتُ المُلكَ منهُ بسيفِ هُلْكِي
وقدْ كانَ استطالَ على البَرايا ... ونظَّم جمعَهم فى سِلْكِ مُلْكِي
فلوْ شمسُ الضُّحَى زارَتهُ يومًا ... لقالَ لها عتُوًّا أُفٍّ مِنكِ
ولو زهرُ النجوم أتتْ رِضاهُ ... تَأَبَّى أن يقولَ رضيتُ عنكِ
فأصبح بعد ما بلغ الزبانَا ... أسيرُ القبرِ فى ضيقٍ وضَنْكِ
يوَدُّ لو انَّهُ لو رُدَّ يومًا ... إلى الدُّنيا تَسَرْبَل ثوبَ نُسْكِي
دعِى يا نفسُ فكرَكِ فى ملوكٍ ... مضَوْا بلا ارتحالِكِ ويكِ فابْكِ
فما يُغنِى هَلاكُ اللَّيْثِ شيئاً ... عنِ الظبىِ السليبِ قميصَ مِسْكِ
هِيَ الدنيَا أُشَبِّهُها بِشَهْدٍ ... يَسُمُّ وجيفةٌ طُلِيَتْ بِمِسْكِ
هِيَ الدُّنيا كمثلِ الطِّفلِ بيْنَا ... يُقهْقِهُ إذْ بكَى مِن بعدِ ضِحْكِ
ألا يا قومَنَا انْتبِهوا فإنَّا ... نحاسَبُ فى القيامةِ غيرَ شكٍّ

فنرجع إلى ذكر بنى العباس فنقول :

كان بنو العباس قد تسببوا فى طلب الخلافة والمبايعة ، ممن طمعوا به من الرعايا ، وكان أعظم من قام بالدعوة لهم أبو مسلم الخراسانى وكان قهيرماناً لإدريس بن العجلى ولاه محمد بن على بن عباس الأمر فى استدعاء الناس فى الباطن ، ثم مات محمد ، فولاه ابنه إبراهيم الإمام ، ثم الأئمة من ولد محمد ، ثم إنه أظهر الدعوة بخراسان سنة ١٢٩ ، وجرى بينه وبين نصر ابن سيار أمير خراسان ، واستولى على بعض بلاد خراسان .

ولما قوى أمره على نصر كتب إلى مروان يعلمه بالحال ، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد وكتب أبياتاً :

أرَى تحتَ الرَّمادِ ومِيضَ نارٍ ... ويُوشِكُ أن يكونَ لهَا ضِرامُ
وإنْ لم يُطفِها عقلاءُ قومٍ ... يكونُ وقودُها جثثٌ وهَامُ
فإنَّ النارَ بالزَّندَينِ تُورَى ... وإنَّ الحربَ أوَّلُه كَلامُ
فقُلتُ من التعجُّبِ ليتَ شِعرِى ... أأيقَاظٌ أُميَّةُ أمْ نِيامُ
وإن يكُ قومُنا أضحَوْا نِياماً ... فقُلْ هُبُّوا فقدْ حامَ الحِمامُ

وكان إبراهيم وأهله بالشام ، فى قرية يقال لها : الحميمية قرب الشوبك ، ولما بلغ مروان الحال أرسل إلى عامله بالبلقاء أن يسير إليه إبراهيم ، فأوثقه وبعث به فحبسه مروان فى حران حتى مات في حبسه .

وفى سنة ١٣٠ دخل أبو مسلم مدينة مرو ونزل قصر الإمارة وهرب نصر .

وفي سنة ١٣٢ بويع أبو العباس السفاح عبد الله بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس بالخلافة ، بعد إقباله من الحميمية بأهل بيته ، منهم : أخوه المنصور وغيره فى صفر ، واستخفى إلى ربيع ثم ظهر وسلم الناس عليه بالخلافة وعزوه فى أخيه إبراهيم ، ودخل دار الإمارة .

ثم بعد ذلك جهز العساكر مع أبي عون ثم أردفه بعساكر مع عمه عبد الله بن علي ، وتحول أبو عون عن سرادق وما فيه لعبد الله ثم التقوا بالزاب فوقعت الكسرة على مروان كما ذكرنا ، وكان أبو مسلم هو الذى دوخ لهم الرعايا وفتح لهم الممالك الخراسانية وغيرها وكان بعد فراغه من أمر بنى أُمية ينشد :

أدركتُ بالحزمِ والكِتمانِ ما عجَزَتْ ... عنه ملوكُ بني مروانَ إذ حَسِدُوا
ما زلتُ أسْعَى بجُهْدِي فى دَمَارِهِم ... والقومُ فى غفلةٍ بالشامِ قد رَقَدُوا
فمَنْ رعَى غَنَمًا فى أرضِ مَسْبَعةٍ ... ونامَ عنها تولَّى رعْيَها الأسدُ

وقد كان السفاح شديد التعظيم له ، فلما تولى المنصور صدرت من أبى مسلم أشياء أوغرت فى صدره فقتله ، وخطب الناس فقال : إن أبا مسلم أحسن أولاً ، وأساء آخراً ، وما أحسن ما قاله النابغة :

فمن أطاعكَ فانْفَعْهُ لطاعتِه كما أطاعكَ وادْلُله علَى الرَّشَدِ
ومَن عصاكَ فعاقِبه مُعاقَبةً تنهي الظلومَ ولا تقعد على ضَمَدِ

الضمد – بالفتح – : الحقد ، قيل : أحصى من قتله أبو مسلم صبرا ، وقيل : وفى حروبه فكانوا ستمائة ألف واختلف فى نسبه ، فقيل : من العرب ، وقيل : من العجم ، وقيل : من الأكراد ، وكان عالى الهمة ، عالماً بالأمور ولا يظهر عليه سرور ولا غضب ، ولا يأتى النساء إلا مرة فى السنة .

ويقول : الجماع جنون ، ويكفي الإنسان أن يجن فى السنة مرة ، وقيل له ما سبب خروج الدولة على بنى أمية ؟ قال : لأنهم أبعدوا أولياءهم ثقة بهم ، وأدنوا أعداءهم تألفاً لهم ، فلم يصر العدو صديقًا بالدنو ، وصار الصديق عدوًّا بالإبعاد .

وقال صاحب ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار : إنه عرض على أبى مسلم جواد لم ير مثله ، فقال لقواده : لما يصلح هذا ؟ قالوا : للغزو ، قال : لا . قالوا : فيطلب عليه العدو ، قال : لا ، قالوا : فلماذا أصلح الله الأمير ، وقال : ليركبه الرجل ويهرب من المرأة السوء والجار السوء .

وعلى ذكر المرأة ما روى أبو هلال العسكرى بالإسناد عن عكرمة الضبى قال : كان أصل قولهم أن تسمع بالمعيدى خيراً من أن تراه ، أن رجلا من بني تميم يقال له ضمرة بن ضمرة كان يغير على سوارح النعمان بن المنذر حتى إذا عِيل صبر النعمان كتب إليه : أن ادخل فى طاعتي ولك مائة من الإبل فقبلها ، وأتاه فلما نظر إليه ازدراه ، وكان دميما فقال : تسمع بالمعيدى لا أن تراه .

فقال ضمرة : مهلا أيها الملك ، إن الرجال لا يكالون بالصيعان ،

ولا يوزنون بالميزان ، ولست بجزور تجزر ، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، إن قاتل قاتل بجنان ، وإن نطق نطق ببيان ، وفي رواية : فإذا رزق المرء لسانا ناطقا ، وقلباً حافظاً ، فقد استحق الشرف . فقال : صدقت لله درك ، هل لك علم بالأمور ، وولوج فيها ، قال : والله إني لأبرأ منها المسحول ، وأنقض منها المفتول ، وأحيلها حتى تحول ، ثم انظر إلى ما تئول وليس للأمور بصاحب من لم ينظر في العواقب ، فقال : صدقت لله درك ، فأخبرني ما العجز الظاهر ، والفقر الحاضر ، والداء العياء ، والسوأة السوأى .

قال ضمرة : أما العجز الظاهر ؟ فالشاب القليل الحيلة ، اللزوم للحليلة الذي يحوم حولها ، ويسمع قولها ، فإن غضبت ترضاها ، وإن رضيت فداها .

وأما الفقر الحاضر ؟ فالمرء لا تشبع نفسه ، وإن كان من ذهب حلسه .

وأما الداء العياء ؟ فجار السوء إن كان فوقك قهرك ، وإن كان دونك همزك ، وإن أعطيته كفرك ، وإن منعته شتمك ، فإن كان ذلك جارك فأخل له دارك ، وعجل منه فرارك ، وإلا فأقم بذل وصغار ، وكن ككلب هرار .

وأما السوأة السوأى ؟ فالحليلة الصخابة ، الخفيفة الوثابة ، السليطة السبابة ، التي تعجب من غير عجب ، وتغضب من غير غضب ، الظاهر عيبها ، المخوف غيبها ، فزوجها لا يصلح له حال ، ولا ينعم له بال، إن كان غنيًّا لم ينفعه غناه ، وإن كان فقيرا أبدت له قلاه ، فأراح الله منها بعلها ، ولا متع الله بها أهلها ، فأعجب النعمان حسن كلامه فأحسن جائزته وأجلسه قبله انتهى .

رجعنا إلى ذكر بني العباس ، قال مرعي : كانوا بالعراق وعدتهم بها سبعة وثلاثون خليفة ، آخرهم المعتصم الذى قتله التتار سنة ٦٥٦ ،

بمكيدة وزيره الخبيث الرافضى ابن العلقمي ، فوقع السيف ببغداد أربعين يوما ، فقتل فوق ألفي ألف ، وبقتله خربت بغداد وانقطعت الخلافة الإسلامية منها ، باستيلاء التتار عليها ، وأقام الناس بغير خليفة ثلاث سنين ، وعلق التتار المصاحف فى أعناق الكلاب ، وألقوا كتب الأئمة فى الدجلة ، حتى صارت كالجسر .

ومن حينئذ ذهبت محاسن بغداد كأنها لم تكن بعد أن كان بها اثنا عشر ألف خان ، واثنا عشر ألف طاحون ، وأربعة وعشرون سوقا ، وستون ألفا حمام ، وثمانمائة ألف مدرسة .

ومن جوامعها : الرصافى يسع مائة ألف ، كانوا يحضرون ابن الجوزى ، وكان سورها المحيط بها أياماً بلياليها ، ويقال : كان يمشى على عرضه ستون فارسا ، ومات بها الإمام أحمد ، فحضر جنازته ألف ألف ، وستمائة ألف ، ضبط ذلك بالمساحة ، وكانت أجل مدن الدنيا ، وانتقلت الخلافة إلى مصر لكن فرق ما بين الثريا والثرى انتهى كلام مرعي .

وقال فى تحفة الغرائب : كانت بغداد فى أيام البرامكة مدينة عظيمة ، يقال : إنها حصرت حماماتها فى وقت من الأوقات فكانت ستين ألفا وكان بها من الرؤساء والوزراء والعلماء والسادات ما يخرج واصفه إلى حد التكذيب .

قال الطبرى : أقل صفة بغداد أنها كان بها ستون ألف حمام ، كل حمام يحتاج إلى خمسة أنفس : سواق ، وزبال ، ووقاد ، وقيم ، ومدبر . وكل واحد من هذه الخمسة لا بد له من أهل وخدم انتهى .

وقال ابن مفلح فى كتابه الفروع : وفى منثور ابن عقيل عن أحمد من مات ببغداد على السنة نقل من جنة إلى جنة .

وروى الحاكم فى تاريخه عن الأصمعى قال : جنات الدنيا ثلاثة

مواضع ، نهر معقل بالبصرة ، ودمشق بالشام ، وسمرقند بخراسان ، وكثر تفضيل بغداد ، ومدحها من العلماء .

قال شعبة لأبي الوليد أدخلت بغداد ؟ قال : لا قال : فكأنك لم تر الدنيا .

وقال الشافعي ليونس بن عبد الأعلى : دخلت بغداد ؟ قال : لا قال : ما رأيت الناس ولا رأيت الدنيا ، وقال ما دخلت بلدا قط إلا عددته سفراً إلا بغداد ، فإني أعددتها وطناً .

وقال أبو بكر بن عياش : إنها لصيادة تصيد الرجال ، ومن لم يرها لم ير الدنيا .

وقال أبو معاوية : هي دار دنيا وآخرة .

وقال ابن الجوزي : اعتدال هوائها ، وطيب مائها لا يشك فيه ، ولا يختلف في أن فطن أهلها وعلومهم تزيد على كل أهل بلاد ، وقد أجمع على هذا جميع فطناء الغرباء ، وإنما يعيبها الجامد الذهن .

قال ابن مفلح : كذا قال ، ومن المعلوم أن في فضل الشام من الكتاب والسنة ، ما ليس في العراق وأفضله دمشق ، وأقام بها كثير من العلماء والعباد من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم أكثر من غيره ، فمن تأمل ذلك وأنصف علمه ، ومعلوم ما في ذم المشرق من الأخبار والفتن ، وبغداد منها وفيها من الحر الشديد ، وكثرة استيلاء الفرق ما هو معلوم بالمشاهدة ، وفضل بغداد عارض بسبب الخلفاء بها انتهى المراد .

ولما استولى عليها التتار جعلوها دار سلطنتهم ، ولم يزالوا يتداولون سلطنتها ، والولاية على جميع نواحي العراق ، إلى عراق العجم ، إلى خراسان وما يليه ، وكان ظهور التتار من جهة الصين قاصداً بلاد الإسلام سنة ٦٦٠ وكانوا بأطراف بلاد الصين ، وكان إقليم الصين متسع دوره ستة أشهر ، وهو

ست ممالك ، ولهم ملك حاكم على الست ، وهو : القان الأكبر المقيم بطمغاج ، ثم إن الحرب وقع بين صاحب الصين وبين جنكزخان ، وصاحب البر ووقع بينهم ملحمة عظيمة ، فكسروا القان الأعظم ، وملكوا بلاده ، فدانت التتار لجنكزخان واعتقدوا فيه الإلهية ، وكان أول ظهورهم بما وراء النهر سنة خمس عشرة ، فأخذوا بخارى ، وسمرقند ، وقتلوا أهلها وحاصروا بها خوارزم شاه ، سلطان المسلمين بالشرق ، ثم عبروا النهر ، وكان خوارزم قد أباد الملوك من مدن خراسان فلم يجد التتار أحدا فى وجوههم فطووا تلك البلاد قتلا وسبيا وساقوا إلى همدان قزوين .

قال ابن الأثير : حادثة التتار من الحوادث العظمي ، والمصائب الكبرى ، ولو قال قائل : إن المسلمين مدة خلق الله آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا وإن قوما خرجوا من أطراف الصين إلى تركستان ، ثم إلى بخارى ، وسمرقند ، فيملكونها ، ويبيدون أهلها ثم تغير طائفة إلى خراسان فيفرغون منهم ملكا وتخريبا وقتلا ، وإلى الرى وهمدان إلى حد العراق أذربيجان ونواحيها ، ويخربونها لأقل من سنة ، هذا أمر لم يسمع بمثله ، ثم ساروا إلى درنبد شروان فملكوا مدنه ، ثم إلى بلد الران فقتلوا وأسروا ، ثم بلاد قنجاق وهم أكثر عدداً فقتلوا من وقف وهرب الباقون .

وسارت طائفة إلى غزنة وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ، ففعلوا أشد من هذا لم يظهر للأبصار والأسماع مثله ، فإن الإسكندر الذي ملك الدنيا لم يملكها فى سنة ، إنما ملكها فى عشر سنين ، ولم يقتل أحداً بل رضى بالطاعة ، وهؤلاء ملكوا أكثر المعمور من الأرض ، وأطيبه فى نحو سنة ولم يبق أحد في البلاد التى لم يطرقوها إلا وهو خائف يترقب ، ثم إنهم لم يحتاجوا إلى ميرة ، فإن معهم الأغنام والبقر والخيل ، ويأكلون ما وجدوا من الحيوانات ، والميتات ، وبني آدم ، ولا يعرفون نكاحا ، بل المرأة يأتيها غير واحد ومع ذلك يسجدون للشمس إذا طلعت ، ولا يحرمون شيئا .

ثم قال ابن الأثير : والله لا شك أن من يجيء بعدنا إذا بعُد المهد ، ويرى هذه الحادثة مسطرة ينكرها ويستبعدها ، فلينظر أنا مطرناها فى وقت استوى فى معرفتها العالم والجاهل لشهرتها انتهى .

ولم تزل عقاربهم تدب ، وساق الحرب قائمة بينهم ، وبين سلطان الإسلام جلال الدين خوارزم شاه رحمه الله ، يضرب معهم المصافات الكثيرة وكسرهم في مدة أربعة عشر سنة إحدى عشرة كسرة وهم يزيدون ويعودون ، وكان سدًّا بينهم وبين بلاد المسلمين فكسروه بعد هذا وكان جيشه أربعمائة ألف فارس وانفتح لهم سد عظيم فحصروا بغداد سنة ٦٥٦ ، وقتلوا الخليفة ، وسفكوا دماء المسلمين ، ولم يبقوا على كبير ولا صغير ، ويصلوا إلى حلب ، ففعلوا بها مثل ما فعلوا ببغداد ، فأخذوا دمشق فى أوائل سنة ٦٥٨ .

وكان ممن عصى عليهم الملك الكامل الأيوبي بميافارقين فحاصروه ، ونصبوا على البلاد ستمائة سلم على السور ، يصعد فى عرض السلم ستة عشر نفسا ، فاشتد الحصار ، وغلت الأقوات ، وأكلت الأموات ، وبيع مكوك القمح بخمسة وأربعين ألف درهم ، ورطل الخبز بستمائة درهم ، والبصلة بثلاثة وخمسين درهما ، ورأس الكلب بستين درهما ، وبيعت بقرة بسبعين ألف درهم ، واشترى الأشرف أخو الكامل رأسها وكوارعها ، بستة آلاف درهم وخمسمائة ، وعملها وأهداها إلى أخيه ، وبيع حجلتان بثلاثمائة وخمسين درهما ، وبيع فروج بسبعمائة درهم .

هذا وأهل البلد محافظون على ملكهم الكامل ، وكان ينزل إليهم كل جمعة فى الجامع ، ويقول : ليس لهم غرض غيرى ، دعونى أخرج إليهم وسلموا إليهم البلد لتأمنوا فيقولون : معاذ الله أن نفارقك ، حتى تروح أرواحنا ، ونموت بين يديك ، وكذا كان فإن أعداء الله ما برحوا حتى فتحوا البلد ، وقتلوا جميع من فيه ، وأخذوا الكامل وجعلوا فى عنقه دوخاشا هو

وأخوه وحملوهم إلى هلاكو ، فلقوه قريبا من سروج عائداً إلى الشام وأحضرهما ، فجعل يوبخهما ، ويذكر ذنوبهما التى نقم عليهما .

فأجابه الكامل : أنت مالك ، لا قول ولا دين ، بل خارجي يجب عليَّ قتالك ، وأنا خير منك ، لأنى أؤمن بالله ورسوله ، ولي دين وأمانة ، ومع هذا فالملك بيد الله ، يؤتيه من يشاء ، وينزعه عمن يشاء ، فكان لنا من عدن إلى تبريز فذهب عنا ، وكذلك يفعل بك إذا أراد ، فقال : كلامك أكبر منك إلا أنك من السلاطين الصغار ، ثم وكزه بالسيف فخرق بطنه ، ثم أمر بضرب عنقه وبعث برأسه إلى الشام ، وعلق على باب الفراديس ، وخروج هؤلاء وقتالهم من معجزات النبى ﷺ فإنه قال : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلكم الترك » انتهى ملخصاً .

ثم إن هلاكو لما فرغ من بغداد نزل آمد سنة ٦٥٧ ، وبعث إلى صاحب ماردين بالتقادم مع ولده المظفر فقبض عليه واشتدت الأراجيف بقصد التتار إلى الشام ، وترحل الخلق إلى مصر وقبض الأمير قطز على ابن أستاذه على ابن المعز وتسلطن وتلقب بالمظفر ، ونازلت التتار حلب آخر العام ، وأخذوها فى اليوم الثامن من السنة الثامنة فوضعوا السيف يومين ، وأبادوا الخلق ثم أخذوا قلعتها بالأمان بعد أيام ثم نازلوا دمشق فهرب الناصر إلى نحو غزنة .

ودخلت رسل هلاكو وقرىء الفرمان بأمان دمشق ثم وصل إلى نائبه وحملت أيضا مفاتيح حماة إليه ، فهرب صاحبها ، وعصت قلعة دمشق فحاصروها ، وألحوا بعشرين منجنيقا على برج الطارمة ، فتشقق وطلب أهلها الأمان ، فأمنوهم ، وسكنها النائب كتب أغا وتسلموا بعلبك ، وأخذوا نابلس بالسيف ، ثم قطع الفرات راجعا وترك بالشام فرقة من التتار .

وأما المصريون فتأهبوا للمسير منتصف شعبان وثارت النصارى بدمشق ، ورفعوا الصليب ، وأمروا الناس بالقيام له ووصل جيش الإسلام

عليهم المظفر ، فالتقى الجمعان على عين جالوت ، ونصر الله دينه ، وقتل مقدم التتار كتب أغا ، وطائفة من أمرائهم ، ووقع بدمشق القتل والنهب فى النصارى ، وساق ركن الدين البندقدارى ، أحد أمراء المظفر وراء التتار إلى حلب ، وخلت منهم الشام ، وطمع البندقدارى فى حلب وكان وعده بها المظفر ، ثم رجع وأضمر الشر .

ولما رجع المظفر بعد شهر إلى مصر ، وقد وافق البندقداري على مراده عدة أمراء ، ففتكوا بالمظفر سادس عشر ذى القعدة بقرب قرطبة وتسلطن ركن الدين البندقدارى الملك الظاهر بيبرس .

وفى سنة ٦٦٠ أخذت التتار الموصل بعد حصار تسعة أشهر بخديعة ، ثم وضعوا السيف فيهم تسعة أيام ، ثم قتلوا صاحبها الصالح إسماعيل بن بدر الدين لولو وفيها وقع الحرب بين هلاكو وبين عمه بركة ، سلطان مملكة القفجاق ، فانكسر هلاكو ، وقتلت أبطاله .

وفى سنة ٦٦٤ توفى هلاكو بن تولى قا آن بن جنكزخان مقدم التتار وقائدهم إلى النار بعثه ابن عمه القان الكبير علي جيش المغل ، وطووا ممالك وأخذوا حصون الإسماعيلية ، وأذربيجان ، والروم ، والعراق ، والجزيرة ، والشام وكان ذا سطوة وعقل ودهاء وشجاعة وكرم مفرط ، ومحبة لعلوم الأوائل ، مات على كفره بعلة الصرع فإنه اعتراه منذ قتل الشهيد صاحب ميافارقين الكامل محمد بن غازى وخلف سبعة عشر ابنا ، تملك منهم ابنه أبغا في سنة ٦٦٥ .

ومات بركة بن تولى بن جنكزخان سلطان القفجاق الذي أسلم وتملك بعده ابن أخيه .

ثم فى سنة ٦٦٨ فى سلطنة قلاوون أقبلت التتار كالسيل والجفل الخلق ، وتهيأ السلطان بدمشق فنزل الرحبة بثلاثة آلاف وجاء منكوتمر بمائة ألف من ناحية حلب فكان المصاف شمالى حمص ، وقد اجتمع من

الجيش المنصور خمسون ألف راكب فاستظهر العدو أولا وكسروا الميسرة ، واضطربت الميمنة ، وثبت السلطان قلاوون بمن حوله ، وكثر القتل وأشرف الإسلام على خطة صعبة ، ثم حملوا على التتار عدة حملات إلى أن جرح منكوتمر فاشتغلت به التتار ، فأنزل النصر فركب المسلمون أقفيتهم واستحر بهم القتل ، وطلع من جهة الشرق عيسى بن مهنا عرضا ، فاستحكمت عزيمتهم .

ثم نزل السلطان بعد هدو من الليل مؤيدا ، وزينت البلاد بعد أن عاين أهل دمشق ، من نصف الليل إلى بكرة النهار سكرات الموت ، وتودعوا من أولادهم وأحبابهم وهلك منكوتمر من تلك الطعنة وهلك أخوه الطاغية أيضا بعد شهرين ، وكانا كافرين وكان سفاكا ، وتملك أخوه أحمد الذي أسلم سنة ٦٨٣ .

ومات أحمد المذكور صاحب خراسان والعراق وأذربيجان والروم ، وهو الذى أرسله القلاوون بالصلح ، وأسلم وهو صبى ، وكان قليل الشر ، مائلا إلى الخير ، قتله أرغون بن أبغا بن هلاكو ، ومَلك البلاد بعده فى سنة ٦٧٩ ، ومات أرغون على كفره ، وكان ظلوما غشوما شجاعا قويا ، يصف ثلاثة أفراس ، ويقف إلى جنب أولها ، ويطير في الهواء حتى يركب الثالثة ، وهو والد غازان وخربندة ، وملك كتجنو بن هلاكو سنة ٦٩٣ .

فى سنة ٦٩٩ تيقن قصد التتار الشام ، فوصل السلطان الملك الناصر ابن قلاوون إلى دمشق ، فى ثامن ربيع الأول حين بلغته الأخبار ، وركب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية على البريد واستحثه ورغبه فى الجهاد وقد انجفل الناس من كل وجه وهجوا على وجوههم ، فسار الجيش ، وتضرع الخلق إلى الله ، والتقي الجمعان بين حمص وسلمية ، فاستظهر المسلمون وقتل من التتار نحو عشرة آلاف ، وثبت ملكهم غازان ، ثم حصل تخاذل ، وولبت الميمنة ، وكان السلطان آخر من انحرف بحاشيته نحو بعلبك ، وتفرق

الجيش وقد ذهبت أمتعتهم ، ونهبت أموالهم ، ولكن قل من قتل منهم ، وجاء الخبر إلي دمشق من الغد فحار الناس وأبلسوا ، وجعلوا يسألون بإسلام التتار ويرجون اللطف وتجمع أكابر البلد ، وساروا إلى خدمة غازان ففرح وقال : نحن قد بعثنا بالفرمان بالأمان قبل أن تأتوا .

وكان ممن خرج إليه تقى الدين ابن تيمية فى جماعة من صلحاء دمشق ، منهم القدوة محمد بن قوام ، فلما دخلوا عليه كان مما قال ابن تيمية للترجمان : قل للغازان : أنت تزعم أنك مسلم ، ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذن على ما بلغنا فغزوتنا ، وأبوك وجدك هلاكو كانا كافرين ، وما عملا كما عملت عامدا فوفيا وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت ، وحرت له مع غازان وقطلوشاه وبولأي أمور ونوب قام فيها لله ولم يخش إلا الله .

قال ابن فضل الله : أخبرنا قاضى القضاة ابن حصرى أنهم لما حضروا مجلسه قدم لهم طعاما فأكلوا منه إلا ابن تيمية فقيل له : لم لا تأكل فقال كيف آكل من طعامكم ؟ وكله مما نهبتم من أغنام الناس ، وطبختموه بما قطعتم من أشجارهم ، ثم إن غازان طلب منه الدعاء ، فقال فى دعائه : اللهم إن كنت تعلم أنه إنما قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ، وجهاد فى سبيلك فانصره وأيده ، وإن كان للملك والدنيا والتكاثر فافعل به واصنع يدعو عليه وغازان يؤمّن على دعائه ، ونحن نجمع ثيابنا خوفاً أن يقتل فنرش بدمه فلما خرجنا قلنا له : كدت تهلكنا معك ، ونحن ما نصحبك من هنا ، فقال : وأنا لا أصحبكم فانطلقنا عصبة وتأخر فى خاصة من معه ، فتسامعت به الخوانين والأمراء فأتوه من كل فج وصاروا يتلاحقون به ، ليتبركوا برؤيته فلم يصل إلا فى نحو ثلاثمائة فارس ، وأما نحن فخرج علينا جماعة فتشلحونا انتهى .

ثم بعدما وقع الأمان المذكور انتشرت جيوش التتار فى الشام طولا

وعرضا ، وذهب للناس من الأهل والمال والمواشي ما لا يحصى وحمى الله دمشق من النهب والسبى والقتل ولله الحمد ، لكن صودروا مصادرة عظيمة ونهب ما حول القلعة لأجل حصارها وثبت متوليها : علم الدين أرجواس ثباتاً لا مزيد عليه ، ودام الحصار أياما عديدة ، وأدمن الناس على الخوف ، وشدة العذاب بالمصادرة من الغلاء والجوع ، لكنهم بالنسبة إلى ما تم بجبل الصالحية من السبى والقتل أحسن حالا فقيل : إن الذى وصل إلى ديوان غازان من البلاد ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف مع ما أخذ فى الترسيم والبرطيل ، وكان إذا ألزم التاجر بألف درهم أُلزمه معها فوق المائتين ترسيما تأخذه التتار ، ثم أعان الله وترحل ثانى عشر جمادى الأولى غير مصحوب بالسلامة .

وكان قدومه ومحاربته فى آخر ربيع الأول .

ودخلت جيوش المسلمين القاهرة فى غاية الضعف ففتحت بيوت المال وأنفق فيهم نفقات لم يسمع بمثلها ، ومدة انقطاع خطبة الناصر من خوف التتار مائة يوم ، وفيها توفى من شيوخ الحديث بدمشق والجبل أكثر من مائة نفس ، ومات برداً وجوعاً نحو أربعمائة نفس ، وأسر نحو أربعة آلاف منهم سبعون من ذرية الشيخ أبي عمر بن قدامة ، قال فى الخميس وفى سنة ٧١٢ مات غازان بن أرغو بن أبغا بن هلاكو مسموما بقرب همدان ، وتملك أخوه خرنبدة وسموه محمداً غياث الدين ، وكان قد أظهر الرفض وأمر قبل هلاكه ببذل السيف فى أهل باب الأزج لإقناعهم عن الخطبة على شعار الرافضة ، مات بهيضة فأهلكه الله سنة ٧١٦ وملكوا بعده ولده أبا سعيد يوسف فأظهر السنة تسلطن وهو ابن إحدى عشرة سنة .

قال الذهبي : وفى سنة ٧١٩ اختلف التتار وكرهوا نائب آل سعيد جوبان ، والتقوا فقتل بينهم أكثر من عشرين ألفا ، وكان قد انحصر من نائبه جوبان لاستبداده بالأمور والحجر عليه ، فالتجأ إلى خاله أريجي وإلى

قرمستى ودقماق وقالوا : نحن نقتل جوبان فعمل قرمستى دعوة ، ففهم جوبان وهرب إلى تبريز ، فتلقاه على شاه ، وذهب به إلى أبى سعيد فاعتذر أبو سعيد ، ولعن أولئك ، فقال الوزير : يا ملك الوقت جوبان والد مشفق وهؤلاء يحسدونه ، ولو قتلوه لتمكنوا منك ، فجمع القان أبو سعيد العساكر وأقبل من الروم ومرباش جوبان بجموعه مع القان فالتقى الجمعان ، فذل أريحى لما رأى القان عليهم ثم انكسر وقتلت أبطاله ثم أسر هو قرمستى ودقماق فسلمهم إلى جوبان فقتلهم .

وقيل : إن جوبان أباد سبعة وثلاثين أميرا ممن خرج عليه ، ثم خمدت الفتنة بعد استئصال كبار المغل واستمر أبو سعيد إلى أن مات سنة ٧٣٦ ولم تقم بعده قائمة للتتار ، بل تفرقوا شذر مذر ، فتقرر أن دولتهم فى بلاد الإسلام مائة وثلاثون سنة .

فهذا ما لخصنا من أخبارهم مع الاختصار ، مما لا تكاد تطلع عليه إلا من عدة أسفار وإنما ذكرنا ما جرى منهم ليعلم العاقل أن أهل الإسلام يبتلون وتمسهم البأساء والضراء ويزلزلون وليس ذلك دليلا على رضًى من الله عن عدوهم أو بغض لهم ، بل قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أن تدخُلوا الجنةَ ولمَّا يأْتِكُمْ مَثَلُ الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ والضَّرَّاءُ وزُلْزِلُوا ﴾ (١) .

فإذا نكب أهل الإسلام نكبة أو أديل عليهم عدو ، فليعتبر بهذه القضية وما قبلها من النكبات ولا يغتر ، وليعلم أنما أصاب من مصيبة فبكسب الأيدي كما ذكر الله تعالى فيوجب للمسلم التوبة إلى الله ، ولا يستغرب ما جرى فى زمنه .

نرجع إلى ذكر بنى العباس لما انحرفت خلافتهم من العراق قامت بمصر ، وذلك أن المستنصر بالله أخا المعتصم لما هرب وسلم من التتار قدم مصر سنة ٦٥٩ وبايعه السلطان بيبرس البندقدارى مع أهل الحل والعقد ،

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢١٤ .

ثم سافر إلى العراق مجاهداً فخرج معه السلطان إلى أن دخلوا دمشق ، ثم جهزه ومعه ملوك الشرق صاحب الموصل وصاحب سنجار والجزيرة وغيرهم ، وأغرم عليهم من الذهب ألف ألف دينار وستين ألف درهم ، وسار معه الحاكم فى سلب ففتح الحديثة ، ثم هت فجاءه عسكر من التتار ، فتصافوا فقتل من المسلمين جماعة وقتل الخليفة ، ولم تزل بنو العباس يتداولون الخلافة بمصر مع سلاطينها ، ولكن ليس لهم معهم إلا الاسم المجرد ، حتى كان آخرهم أبا عبد الله الملقب بالمتوكل ابن المستمسك يعقوب ، كان السلطان سليم بن يزيد العثماني لما افتتح مصر ، وأزال مظالم الجراكسة أخذه إلى اسطنبول عوضا عن والده يعقوب لكبر سنه وتوفى سنة ٩٥٠ .

وبموته انقطعت الخلافة الصورية بمصر ، وكان المتوكل هذا فاضلاً وله شعر منه :

لم يَبْقَ مِنْ مُحسنٍ يُرجَى ولا حسَنٌ ... ولا كريمٌ إليهِ مُشْتَكَى الحزنِ
وإنَّما سادَ قومٌ غيرُ ذِي حَسبٍ ... ما كنتُ أُوثِرُ أن يمتدَّ بِي زمنِى

وكان تمام أربعة وخمسين خليفة من بني العباس ، فسبحان من لا يزول ملكه وسلطانه انتهى .

وكان السلطان محمود مَلِكاً عادلاً زاهداً عابداً ورعاً مجاهداً متمسكا بالشريعة ، مائلاً إلى أهل الخير ، كثير الصدقات ، بنى المدارس الكبار وله من الفضائل والمآثر ما يستغرق الوصف .

وفى أيامه سنة ٥٥٧ عمل خندقا حول الحجرة النبوية مملوءاً بالرصاص ، قال صاحب الخميس وسببه أن النصارى دعتهم أنفسهم إلى أمر عظيم ظنوا أنه يتم لهم ويأبى اللّٰه إلا أن يتم نورُه .

وذلك أن السلطان محموداً كان له تهجد من الليل فنام عقب تهجده فرأى النبي ﷺ وهو يشير إلى رجلين أشقرين ويقول : أنجدنى من هذين

تكرر ذلك ثلاثا ، وكان له وزير صالح يقال له : جمال الدين الموصلي ، فأرسل إليه وحكى إليه ما اتفق له ، فقال : وما قعودك ؟ اخرج الآن إلى المدينة واكتم فتجهز وخرج ، فقدمها لستة عشر يوماً فقال الوزير وقد اجتمعوا أنه قصد الزيارة ، وأحضر أموالًا للصدقة ، فاكتبوا من عندكم ففعلوا ، وأمر السلطان بحضورهم ، كي يرى تلك الصفة فمن أعطاه أمره بالانصراف ، فقال : هل بقى أحد ؟ قالوا : لا ؛ قال : تفكروا ، قالوا : لم يبق إلا رجلان مغربيان صالحان يكثران الصدقة قال : عليّ بهما فرآهما اللذان أشار النبى ﷺ إليهما ، فقال : من أين أنتما ؟ قالا : جئنا حاجين فاخترنا المجاورة عند رسول الله ﷺ فقال : أصدقانى فصمما فقال أين منزلهما ؟ فأمسكهما وأحضرا إليه فى رباط بقرب الحجرة فرأى فيه مالًا كثيرا ، وختمتين وكتباً فى الرقائق ولم ير شيئاً فأثنى عليهما أهل المدينة بخير وقالوا : إنهما صائمان الدهر ، ملازمان للصلاة فى الروضة وزيارة النبي وقباء كل سبت ، ولا يردان سائلا ، فقال : سبحان الله ، وبقى يطوف بالبيت ، فرفع حصيراً فيه ، فرأى سرداباً محفوراً انتهى إلى صوب الحجرة ، فارتاع الناس لذلك ، وقال : أصدقانى وضربهما شديداً فاعترفا بأنهما نصرانيان بعثهما النصارى ، وأمالوهما بأموال عظيمة ، وأمروهما بالتحيل فى الوصول إلى الجناب الشريف ، ويفعلان به مازين لهم إبليس فى النقل ، وما يترتب عليه فصارا يحفران ليلًا ، ولكل منهما محفظة جلد ، فما اجتمع من التراب جعلاه فيها ، وخرجا لزيارة البقيع فألقيا .

فلما قربا من الحجرة أرعدت السماء ، وأبرقت ، وحصل رجيف عظيم ، بحيث خيّل انقطاع تلك الجبال ، فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة ، فلما ظهر حالهما على يديه فرأى تأهيل الله ذلك له دون غيره ، بكى بكاءً شديداً ، وأمر بضرب رقابهما .

ثم أمر بإحضار رصاص عظيم ، وحفر خندقاً إلى الماء حول الحجرة وأذيب وملأ الخندق فصار سورا ثم عاد إلى مُلكه ، وأمر أن لا يستعمل

كافر وأمر بقطع المكوس ، انتهى ملخصاً من سيرة الخميس وهذه الواقعة فى خلافة المستنجد .

وذكر هذه الحادثة العلامة زين الدين أبو بكر بن الحسين العثمانى المراغى فى كتاب تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة عن المطرى قال : أخبرنى بذلك يعقوب بن أبى بكر المحترف عن جماعة من أكابر الحرم وذكر رؤياه على نحو ما تقدم وأنه استحضر وزيره الموفق خالد بن محمد بن نصر القيروانى الشاعر – وكان موفقا – قبل الصبح ، وذكر له ذلك فقال : هذا أمر حدث بمدينة النبي ﷺ وليس له غيرك ، فتجهز وخرج على عجل بمقدار ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغيره ، وذكر نحو ما تقدم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

تنبيه :

إن هذه الحادثة لم يذكرها أحد من ثقات المؤرخين سوى من ذكرهم المؤلف وأعتقد – أنا شخصياً – أن الثابت منها هو أن السلطان عمل خيراً فى تطويق القبر بصب الرصاص حوله حماية للقبر الشريف وما بقى من القصة فهو من حكاية العوام هذا هو الثابت منها فى نظرى .

الناشر

* * *

بنُو وَائِل
ونسب آل مدلج
في كتاب ابن لُعبون

قلت في مجلة « العرب » ص ٤٥٠ وما بعدها في سنتها الجارية : إنَّ ابن لُعبون ألَّف كتابين أحدهما : في التاريخ . جعل أساسه (مقدمة ملخّصة من لَدُن آدم أبي البشر . إلى أثناء القرن الثالث عشر) . وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً .

والكتاب الثاني : خصصه للأنساب ، استجابة لطلب ضاحى بن عون فى إثبات نسب قبيلته آل مُدْلِج الوائليين . ولكنه لم يقتصر على ذكر نسب هؤلاء ، بل ذكر أنساب أهل نجدٍ بصفة عامة . كآل سعود . وبني تميم . وغيرهم وطبع من هذا الكتاب قسم في مطبعة (أم القرى) بمكة المكرمة سنة ١٣٥٧ .

وها هى نُبْذَةٌ تتعلق بنسب آل مدلج . مما لم يَرِد ذكره في الكتاب المطبوع . ويظهر أن كتابَ ابن لُعبون المتعلق بالأنساب دخله تحْوير وتغيير . قد يكون بعد وفاة المؤلف . من ابنه زامل ، كما يتضح من الاختلاف في هذه النبذة ، التي نقلت عن نسختين– ففي إحداهما ينص على أن زمن كتابتها سنة ١٢٥٥ – في حياة من أَلَفَ له الكتاب الشيخ ضاحي بن عون ، ويفيض في الثناء عليه – وفي النسخة الثانية يذكر وفاته سنة ١٢٦٠ – ولا يثني عليه وهذه النسخة الثانية هي الواردة في كتاب « تحفة المشتاق » وقد أوردت نَصَّ ما في ذلك الكتاب ، ثم عَلَّقت ما ورد في النسخة التي لا أشك في أنها نقلت عن أصل كتبه ابن لعبون نفسه ، ولهذا رمزت لها بحرف (أ) – أي الأولى ، أما ما في كتاب : « تحفة المشتاق » فقد يكون من عمل زامل ابن المؤلف – وأن ما جاء فى ذلك الكتاب من أنه (بقلمه) يحتاج إلى تثبيت .

جاء في كتاب « تحفة المشتاق » ما نَصُّهُ :

تفصيل نسب آل لُعبون :

وإليك تفصيل نسب آل مدلج نقلته من تاريخ حمد بن محمد بن لُعبون المعروف في بلد التُّويم بقلمه ، قال :

أول من سُمِّي لنا من أجدادنا حُسَيْن أبو علي ، وهو من بني وائل ، ثم من بني وهب من الحُسَنَةِ ، وكان لوهب ولدان وهما مُنَبِّهٌ وعليٌّ ، وهو جد (وِلْد علي) المعروفين اليوم .

ولمُنَبِّهٍ ولدانِ وهما حسن جدّ الحُسَنَة ، وصاعد جَدُّ المصاليخ .

ولصاعد ولدان وهما : يعيش وقوعي (؟) والنسل لهما .

فنزل حسين أبو علي المذكور في بلد أُشَيْقر ، ونزل عليه بعد ذلك في بلد أُشيقر عِدَّة رجال من بني وائل منهم يعقوب أخو شميسة جَدُّ آل أبو ربَّاع ، أهل حُرَيمِلاء من آل حسني من بشر .

وحتَايت جَدُّ آل حتَايتٍ المعروفين من وَهْبٍ من النُّوَيْطات .

وسليم جَدُّ آل عَقِيلٍ منهم أيضاً .

وتوسَّعوا في أشيقر بالفلاحة ، وصار لهم شهرةٌ وكثرتْ أتباعهم .

ونزل عندهم جَدُّ آل هُوَيمل ، وآل عُبيد المعروفين الآن في التويم من آل (أبو ربّاع) .

واشتهر حسين أبو علي في أشَيقر بالسَّخاء والمروءة وإكرام الضيف .

وفي أثناء أمره أقْبَلَ غزوٌ من آل مُغيرة ، ومعهم أموال كثيرة ، قد أخذوها من قافلة كبيرة بين الشام والعراق ، فألقاهم الليل إلى بلد أُشَيْقِر ، فنزلوا قريباً من نخل (أبو علي) وكانُوا مُتَبَرِّزِيْن عن ضيافة البلد ، فأمر أبو عليٍّ بِجَذَاذِ جُمْلَةٍ من نَخْلة ، ووضعَه في الأرض بين أُسْطُرِ النخل ، ثم دعا الغَزْو المذكورين ، وأميرهم حينئذٍ مذْلج الْخِياري ، المشهور في نجد

بالشجاعة ، وكثرة الغزوان ، وهو رئيس عربان آل مغيرة ، فدخلوا إليه ، وأجلسهم على التمر ، فأكلوا حتى شبعوا عن آخرهم ، وهم نحو مائة رجل ، ثم أَمَر على مدلج المذكور ورؤساء الغزو بالمبيت عنده ، وذبح لهم ، وصنع لهم طعاماً خَصَّهم به ، فلما كان آخر الليل وعزموا على المسير وضع مدلجٌ تحت الوسادة صُرَّةً كبيرةً فيها مالٌ كثير ، مما أخذوه من القافلة ، وساروا فلما كان بعد صلاة الصبح ، وطَوُوا الفراش وجَدوا الصُّرَّة تحت الوسادةِ ، فركب أبو عليٍّ فَرساً له ، فلحقهم ظَنًّا أنهم قد نسوها فأَبَى مُدلج أن يأخذها وقال : إنما وضعتها لك على سبيل المعاونة لك على مروءتك ، فرجع أبو عليٍّ بها . وكانت زوجته حاملاً فقال لها : إن ضيفنا البارحة منْ أهل المروءة والكرم . فإنْ رزقنا الله وَلَداً ذكراً سمَّيناه على اسمه مدلج (؟) وولدت ذكراً فسماه مدلج (؟) ونشأ مدلج في بلد أُشَيْقِر ، في حجْرِ أبيه ، ثم صار له بعد أبيه شهرةٌ عظيمة ، واجتمع عليه من قرابته جماعاتٌ ومن بني وائل ، وتمكنوا في أُشيقر بالمال والرجال والحراثة ، فخافوا منهم الوُهَبَة أَهْلُ أُشيقر ، أن يطمعوا في البلد ، فتمالأوا الوهَبَةُ على إجلائهم من البلد ، بلا تَعَدٍّ منهم في دَمٍ ولا مال . وكان أهل أُشيقر قد قسموا البلد قسمين : يوم يخرجون (؟) الوَهَبَة بأنعامهم وسوانيهم لِلْمَرْعَى ، ومعهم سلاحُهم ، وذلك أيَّام الربيع ، ويقعد بنو وائل في البلد ، يسقون زروعهم ونَخيلهم ، ويوم يخرج فيه بنو وائل بأنعامهم وسواينهم ، ويقعدون (؟) الوهبة ، يسقون زروعهم ونخيلهم . فقال الوُهَبَةُ بعضهُم لبعضٍ : إنَّ الرأيَ إذا كان اليومُ الذي يخرج فيه بنو وائل لِلْمَرْعَى ، وانتصف النهار أخرجنا نساءهم وأولادهم وأموالهم خارج البلد ، وأغلقنا أبوابَ البلدِ دُونهم ، وأخذنا سلاحنا وجَعَلنا في البروج بوارِدِيَّةً ، يحفظون البلد ببنادقهم ، فإذا رجع بنو وائل منعناهم من الدخول ، ففعلوا ذلك ، فلما رجع بنو وائل آخر النهار ، منعوهم من الدخول ، وقالوا لهم : هذه أموالكم ونساؤكم وأولادكم قَدْ أخرجناها لكم ، وليس لنا في شيء من ذلك طَمَعٌ وإنَّما نخاف من شرور

تقع بيننا وبينكم ، فارتَحِلُوا عن بلدنا ، ما دام نَحْن وأنتم أصحابٌ . ومن له زرع فليوكِّل وكيلاً عليه منا ، ونحنُ نقوم بسقيه حتى يُحْصَد ، وأما بيوتكم ونخيلكم فكل منكم يختار له وكيلاً منَّا ، ويوكله على مَالِه فإذا سكنتم في أي بلد فمن أراد القدومَ إلى بلادنا لِبَيْع عقاره فليقْدم ، وليس عليه بَاسٌ ، وليس لنا طَمَعٌ في أموالكم ، وإنما ذلك خوفاً منكم أن تملكوا بلدنا وتغلبونا عليها . فَتمَّ الأمر بينهم على ذلك (١) .

ثم رحل بنو وائل ، مدلج وبنوه وجَدُّ أَهل حريملاء وسليم ، وجد آل هويمل الذين منهم آل عُبَيْد المعروفون في التُّويم ، والقصَارَى المعروفون في الشُّقَّةِ من قرى القصيم ، وآل نَصْر الله المعروفون في الزُّبَيْر . فاستوطنوا بلد التُّوَيْم (٢) .

---

(١) أول مخطوطة (أ) .

وردة الرجبان : .. (سقط أوله) :

لما سمع سقيهم فذمَّها وأنَّ فيها ، ثم سأَل عنه الليلة الثانية فقال : لمن هذا ؟ فقالوا : للوُهبة ، فأنَّ فيها وحقَّرها ، ثم سمع بسقي الليلة الثالثة فإذا لها زَجَلٌ وزلزلةٌ وإحساس لعواملها وعمالها ، فقال : لمن هذه الوردة ؟ فقالوا : لبنى وائل ، فرفع صوته وقال : يا بني وُهَيْب أدركوا بلدكم فإنها قد عرفت أهلها . ما بقي إلا أن يخرجوكم منها ، أو تكونوا رعِيَّة تحت أيديهم ، فوقع ذلك في قلوبهم وأجمعوا على إجلائهم ، وكانوا إذا كانت وردةُ بني وائل ظهروا (؟) الوهبة والرّجبان بأهاليهم وسوانيهم ومنائحهم وما يكفيهم من الزاد إلى الفلاة والمرعى – فيرعون ويبيتون ويحشُّونَ ما يكفيهم إلى وردتهم فإذا رجعوا ظهروا (؟) بني وائل بأهاليهم وسوانيهم ومنائحهم إلى الفلاة وحشُّوا ما يكفيهم ورجعوا . فاتفق رأيُ الوهبَة على أنهم إذا خرجوا (؟) بني وائل أغلقوا الأبواب دونهم ومنعوهم من الدخول . فلما رجعوا إذا الأبواب مغلقة . فقالوا : ما الخبر ؟ فقالوا لهم الوُهَبَةُ : نحن محاذرون على بلدنا . ولا ترون منا ما تكرهون . وحقكم علينا أنْ نحن نخدمكم في حرثكم وكَدِّكم حتى يُحْصَد ويُرطِب ، وكلُّ من له حرث يختار له وكيل منا ، وأنتم توسعوا في بلد الله . فلم يَرَى (؟) بنو وائل بدًّا من ذلك .

(٢) في نسخة (أ) :

فصار من له كدٌّ يوكل عليه وكيل (؟) على كُرْهٍ منهم وغيظ . حتى أن (حنايت) حين قالوا له : وكِّل قال : وكيله الشيطان ! تُجلوننا عن نخيلنا وحروثنا وتقولون : وَكِّلوا ؟ فبقيت كلمته مثلاً سائراً ، فإذا ذُمَّ وَكِيلٌ قِيلَ : وكيل (حنايت) .

وكان أول من سكنها مدلج وبنوه ثم اجتمع عليه قرابته .

وكانت بلد التُّوَيم قبل ذلك قد استوطنها أناسٌ من عايذ بني سعيد ، بادية وحاضرة ، ثم إنهم جَلَوا عنها ودَمَرَتْ ، وعمرها مُدْلِج وبنوه وذلك سنة ٧٠٠ تقريباً .

ونزل آل حمد آل (أبو ربَّاع) (١) في حلة ، وآل مدلج في حلة البلد ، ثم إنه بدا لآل حمدٍ الارتحالُ والتفرُّد لهم في وطن ، فسار عليٌّ بن سليمان بن حمد الذي هو أبو حمد الأدنى ، وراشد وتوجه إلى وادي حنيفة ، فقدم على بْنِ مُعَمَّرٍ رئيس العُيَيْنة ، وكان قد صار طريقه على أرض حُرَيملاء ، وفيها حَوْطَة لآل (أبو ريشة) الموالي ، قد استوطنوها قبل ذلك ، ثم ضَعُفَ أمرهم ، وذهبوا ، واستولى عليها ابن مُعمَّر ، وذلك بعد دمار ملهم ، وانتقال شرايد أهلِهِ إلى بلد العُيَيْنَة ، فساوم عليٌّ بن سليمان المذكورُ ابنَ معمَّرٍ في حَوْطة حريملاء، واشتراها منه بست مائة أحمر ، وانتقل إليها من التُّويم ، وسكنها هو وبنو عمه سويْد وحسن ابنا راشد آل حمد ، وجَدُّ آل عَدْوان ، وجَدُّ البُكُورِ ، وآلِ مبارك وغيرهم من بني بكر بن وائل وذلك سنة ١٠٤٥ .

ثم إنَّ سليم جد آل عقيل قدم على ابنِ معمَّرٍ من بلد التُّويم ، فنزل عنده في بلد العُيَينة فأكرمه ، ونشأ ابنه عقيل بن سليم ، وصار أشهر من أبيه وله ذرية كثيرة .

---

(١) في (أ) :

فذهب مدلج ورهط يعقوب آل (أبو ربَّاع) الذين يقال لهم آل حمد ، هويمل ، وبقايا الوهيبيين الذين مع مدلج ، وتوجهوا إلى سُدَيْر ، وحاصل الأمر أنهم استقروا في التُّويم ، بعد سكانٍ له قد درسوا ، يقال : إنهم من عايذ ، ويقال : إنهم من عُرَينة ، ويقال : من غيرهم ما حققنا أمره الأول ، وإلا فهو بلد قديم ، قد ذكره صاحب « القاموس » وذكره السيُوطيُّ عن الحمداني – كما مَرَّ – فإنه قال لما ذكر عايذ بن سعيد : ومنازلهم حرمة وجلاجل والتويم ووادي القرى ، وهو المسمى سُدَير – آخر ما ذكر فيما سبق في الفصول .

وأما مُدْلجُ فإنه تَفَرَّد في بلد التُّويم هو وأتباعه وجيرانه ، وعمروه وغرسوه .

ثم نشأ ابنه حسينُ بن مدلجٍ ، وعظُم أمرُهُ ، وصار له شهرة (١) ، وله أربعة أولاد : إبراهيم ، وإدريس ، ومانع ، وحسن ، وصار لهم صِيْتٌ (٢) .

---

(١) في (أ) : فصل في ذكر ذرية مدلج :

اعلم أنَّ مدلج قد أرَّث حسين ابنه ، وهو الذي انتقل بأصحابه إلى التُّويم ، وملكه وكان لحسين أربعة بنين هم : إدريس وإبراهيم ومانع وحسن فنشأوا عند أبيهم في التويم . ثم بدا لإبراهيم الانفراد ، وارتاد موضع حرمَة ، وكان فيها آثار منازل دارسة ، وأبيار تردها البوادي فاستحسنها ، واستأذن أباه بالرحيل إليها فأذن له ، فلما مات حسين بعث بنوه إلى إبراهيم وقالوا : أنت الأكبر ونُريد منك الخلف أن تكون أنت الرئيس بعد أبيك فقال : أنتم فيكم الكفاية ، وقد استقرَّ بي القرار في منزلي — يعني حرمة — والحال واحدة .

وأمّا إدريس فأعقب زامل واستقل برياسة التُّويم ، ثم ولده محمد بن زامل الرئيس المشهور الذي قتل في حرب جلاجل ، في الوقعة التي قتل فيها شيخ جلاجل إبراهيم ابن سليمان سنة . . . ؟

(٢) في (أ) :

ثم إنه نشأ بعد مدلج ابنه حسين ، وتمكَّن في التويم ، وساد الذين غيره من بني وائل وغيرهم ، وصاروا رعاياه فضاق ذرع أكثرهم ، فذهبوا آل هويمل إلى القصيم ، ونزلوا الموضع المسمَّى بالشُّقَّة ، وكذلك آل مبارك المسمون بالتواجر ، نزلوا الطَّرفيّة ، وكذلك آل حمد ، بعدما توطنوا وبنوا لهم حلَّةً مشهورة بهم . وقع لهم أمورٌ ألجأتهم إلى الجلاء ، فتفرقوا . وذهب عليٌّ بن سليمان رئيسهم إلى ابن معمر ، رئيس العُيَينة ، وأضافهُ وأكرمه ، فقال : إني قد جئتك في حاجة ، وهي طلب القُرْب منك ، نريد منزلاً من نواحيك بالثمن . فقال : اطلب ما بدا لك . فطلب منه موضع حُرَيملاء ، فأجابه ، واشتراها بثمن معلوم ، وكانت قبله حوطة لآل أبي ريشة (ربيشة) وناس من موالي الشام (؟) المعروفين ، وقد درسوا وأُجلوا عنها ، فنزلها عليٌّ بن سليمان ومن معه من آل أبي ربَّاع ، وعمروا وبَنوا المنازل ، وغرسوا الغروس ، وتداولها ذُرِّيَّة آل سليمان وآل راشد ، الذي تجمعهم الأحمدية (؟) وكذلك نزل معهم البكور ، وآل داود من بني وائل وصار لهم قسمة في البلد .

ونزولهم حريملاء وعمارتهم لها سنة ١٠٤٥ (١٠٣٥) .

هذا ما بلغنا عن انتقالهم من أشيقر .

وأمّا آل خُنَيْزان فنزلوا رغبة .

فأما إدريس فإنه أعقب زامِلَ (أبو محمد) الفارس المشهور ، الذي قتل في وقعة (القاع) سنة ١٠٨٤ وهي وقعة مشهورة بين أهل التُّويم وأهل جُلاجل ، قتل فيها محمد بن زامل بن إدريس رئيس بلد التُّويم ، المذكور ، وإبراهيم بن سليمان بن حَمَّاد بن عامر الدَّوْسَرِيُّ رئيس بلد جُلَاجِل [١] .

ومحمد المذكور هو أبو فوزان جد عبد الله بن حمد بن فوزان ، ومُفِيز جَدّ مفيز بن حسين بن مُفيز بن حسين وهم من آل زامل [٢] .

وأما مانع فهو جد آل حُزَيم بن مانع المعروفين [٣] .

وأما حسن فهو جد آل جطيل والمفارعة [٤] .

وأما إبراهيم بن حسين فإنه ارتحل في حياة أبيه إلى موضع بلد حرمَة

---

(١) في (أ) : وقعة القاع جاء ذكرها في كتاب « تحفة المشتاق » بهذا النّص : ثم دخلت سنة أربع وثمانين وألف : في هذه السنة وقعة القاع المشهورة بين أهل جُلاجل والتُّويم ، قتل في هذه الوقعة محمد بن زامل بن إدريس بن حسين بن مدلج الوائلي ، أمير بلد التُّويم ، وإبراهيم بن سليمان بن حمَّاد بن عامر الدوسري ، أمير بلد جُلاجل ، وناصر بن بُرَيد ، وغيرهم انتهى .

(٢) في (أ) : ثم عقب محمد أبناء وهم فواز (فوزان) وفائز ومفيز ، هؤلاء أبناء إدريس المسمَّون آل زامل ، انتهى . وجاء في أخبار حوادث سنة ١١٢٠ من « تحفة المشتاق » ما نصّه : وفيها قُتِل حُسين بن مفيز الوائلي أمير بلد التُّويم ، قتله ابن عمه فايز بن محمد بن مفيز المدلجي الوائلي وتولى بعده في التُّويم ، ثم إن أهل بلد حرمة من آل مدلج من وايل ساروا إلى التُّويم وقتلوا فايز بن محمد المذكور ، ونصَّبوا فوزان بن مفيز أميراً في التويم . ثم غَدَر ناصر بن حمد في فوزان المذكور فقتله ، فتولَّى في التويم محمد بن فوزان ، ثم تمالأ عليه أربعة رجال وهم المِفْرع وحمد بن عثمان الحزيمي وزامل بن إدريس وأخوه عبد الله فقتلوه ، وقسموا البلد أرباعاً كل واحد شاخ في رُبع منها ، فسمُّوا المربوعة ، وانهزم عبد الله بن فوزان ومفيز بن حسين إلى بلد جُلاجل .

(٣) في (أ) : وأمَّا مانع بن حسين فذريته يقال لهم آل مانع ، وغلب على أكثرهم اسم حُزَيم ، لقب لجَدٍّ لهم فهم الآن يقال لهم آل حزيم .

(٤) في (أ) : آل جطيل وأناس معهم ، اختلطوا بآل مانع . وتَسَمُّوا بالمفارعة . انتهى وتقدم في الحاشية ذكر (المِفْرع) بكسر الميم وإسكان الفاء .

المعروفة ، وهي مياه وآثار منازل ، قد تعطلت ، من منازل بني سعيد من عايذ ، ونزلها إبراهيم المذكور ، وعمرها وغرسها ، ونزل عليه كثير من قرابته وأتباعه ، وتفرَّد بملكها عن أبيه وإخوته .

وكان نزول إبراهيم بن حسين بن مدلج المذكور بلد حرمة وعمارته لها تقريباً سنة ٧٧٠ (١) . وعمارة بلد المَجْمعَة سنة ٨٢٠ .

ثم إنه توفي حسين بن مدلج في بلد التُّويم ، وصار أميرها بعده ابنه إدريس .

فأما إبراهيم بن حسين فإنه استقر في بلد حَرْمَة وكان لأبيه فِداويٌّ فارس يقال له عبد الله الشمريُّ من آل ويبار ، من عَبْدة من شَمَّر ، فلما مات حسين المذكور قدم على ابنه إبراهيم في حَرْمَة ، وطلب منه قطعةً من الأرض لينزلها ويغرسها فأشار أولادُ إبراهيم على أبيهم أن يجعله أعلى الوادي ، لئلا يحول بينهم وبين سعة الفلاة والْمَرْعى ، فأعطاه موضع المجْمَعَةِ المعروفة ، وصار كلما حضر أحدٌ من بني وائل وطلب من إبراهيم وأولادِهِ

---

(١) في (أ) : وأما ابراهيم بن حسين – جدّ أهل حَرْمة – كان له من الولد أربعة : محمد وحمد وإسماعيل وعبد الله ، فصاروا آباءً لأربعة بطون ، وصارتْ رياسة البلد مشاعة بين الأربعة ، لا يختص بها واحداً عن الآخرين انتهى .

وفيها أيضاً : وقد ذكروا لنا آل شبانة حمد بن عثمان وأخوه محمد أنهم رَووا عَمَّن قبلهم نقلاً نزول إبراهيم بن حسين حرمة في آخر القرن التاسع تقريباً ، نحو السبعين وثمان مائة ، وظهور المجمعة بعد نزول إبراهيم بخمسين سنة ، لأن الذي اختط المجمعة وسكنها هو عبد الله الشمَّريُّ الفارس المشهور كان خيالاً عند حسين بن مدلج فداوياً بمنزلة الوزير ، فلما توفي حسين أقام مدة عند أولاده ، ثم اختار جانب إبراهيم فانتقل إليه في حَرْمَة فسكن عنه زماناً على حشمة ووقار ، ثم طلب من إبراهيم أن يبرز في منزل على حدته ، يتوسع فيه ويحرث ويغرس هو وذريته ، ومن التجأ إليه ، فأذن له .

النزولَ عندهم ، أمروه أنْ ينزل عند عبد الله الشَّمَّرِيِّ طَلَباً للسعَة وخوفاً من التَّضييق عليهم ، في منزل وحرث وفلاة ، ولم يَخْطُرْ ببالهم النظر في العواقب ، وأن أولاد عبد الله الشَّمَّري وجيرانهم لابُدَّ أن يُنَازعُوهم بعد ذلك ويحاربوهم فيكون من ضَمُّوه إليهم تَقْوِيةً لهم عليهم .

فأتاهم جَدُّ التواجر وهو من جُبَارة من عنزة .

ووجدت في بعض التواريخ أن التواجر من بني وهب من النُّوَيْطَات من عنزة ، وجَدُّ آل بَدْرٍ وهو من آل جلاس من عَنَزَة ، وجَدُّ آل سُحَيْمٍ من الحِبْلَان من عنزة .

وجد الثَّمارَى من زِعْبٍ ، وغيرهم فنزلوا عند عبد الله الشمَّري .

وكان أولاد عبد الله الشَّمَّري ثلاثة : سَيف ودُهَيش ، وحمد .

فأما حَمد فهو أبو سويد ، وذُرِيَّتُهُ في الشُّقَة المعروفة من قُرى القصيم .

وأما سيف فهو أبو علي وغانم وإبراهيم .

فأما غانم فهو أبو مجحدٍ ، جدّ آل مُجْحِدٍ المعروفين .

وأما إبراهيم بن سيف فهو أبو الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف ، العالم المشهور ، في المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، والشيخ عبد الله هذا هو أبو الشيخ العالم العلامة إبراهيم بن عبد الله بن سيف بن عبد الله الشمريَّ المتوفي في المدينة المنورة سنة ١١٨٩ رحمه الله تعالى ، وهو مصنف كتاب « العذب الفائض شرح ألفية الفرايض » وله عَقِبٌ في المدينة المنورة .

وأما عليٌّ بن سيف فهو أبو حمد بن علي المشهور .

وعثمان جد آل فايز وآل فوزان ؛ .

وأما حمد بن علي بن سيف فهو أبو عثمان ومنصور وناصر الشيوخ المعروفون في بلد المجمعَة .

وعثمان بن حمد بن علي بن سيف بن عبد الله الشَّمَّريُّ ، هذا هو الذي عناه حُمَيْدَان الشُّوَيْعِر بقوله :

الْفَيْحَا دِيْرَة عثْمَـان ومُقَابَلَتْهَا بلَادَ الزِّيَرَهْ

وهو جَدُّ آل عثمان شيوخ المجمعَة في الماضي ، الذين من بقيتهم اليوم في المجمعة آل مَزْيِدٍ المعروفين .

وباقي اليوم من آل سيف آل محْرِج ، وآل حَمَّاد ، وآل جَبْر ، وآل فايز ، وآل مُفيز ، وآل مُجْحِد .

وأما دُهَيش بن عبد الله الشَّمَّرِي فله عدة أولاد ، وصار بينهم وبين بني عمهم آل سيف ابن عبد الله الشَّمَّرِي حُرُوبٌ عظيمة ، عند رياسة بلد المجمعة ، وصارت الغلبة لآل سيفٍ ، فارتحلوا آل دُهيشٍ إلى بلد حَرْمَة ، وسكنوا عند آل مُدلِج ، وكانوا أصهاراً لهم ، فقاموا معهم في حرب آل سيف ، ووقع بينهم حروب كثيرة وقُتل من الفريقين عدَّة قتلى ، منهم عثمان بن ناصر بن حمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي الشجاع المشهور ، وهو الملقب بلُعْبُون وهو جد آل لُعبون .

وقد تقدم ذكر السَّبب الذي أوجب تسميته بهذا الاسم .

وقد انقطعوا (؟) آل دُهيش ابن عبد الله الشَّمَّريِّ ما نعلم اليوم منهم أحداً .

وأما إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائليُّ صاحب بلد حَرْمَةَ فأولاده أربعة : محمد وعبد الله وإسماعيل وحمد .

فأما محمد فأولاده : حمد وإبراهيم ومانع .

ولحمد بن محمد ولَدَانِ : محمد وناصر .

وأولاد محمد بن حمد بن محمد خمسة : إبراهيم وناصر ومحمد وعثمان وعبد الله . وأما إبراهيم بن محمد بن إبراهيم فهو جد آل مانع .

والمشهور منهم اليوم ذرية مانع بن إبراهيم وهم : إبراهيم أبو عودة ، ومانع ومحمد وعثمان ومحمد . فيكون عودة وأخوه عبد العزيز ابنا إبراهيم بن عودة بن إبراهيم بن مانع بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج ابن حسين الوائلي .

وأما محمد فهو جد آل الْمُعَيِّ هؤلاء آلُ محمد (١) .

وأما آل عبد الله بن إبراهيم بن حسين فهم المعروفون اليوم بالحسانا غلب عليهم الاسم وإلَّا فَهُم وقبيلتهم في النِّسبة إلى حُسَيْنْ سواء .

---

(١) في (أ) : فذرية محمد بن إبراهيم الجد لصلبه : حمد وإبراهيم ومانع .

فأما حمد فأرَّث محمد ، ومحمد أرث إبراهيم وعبد الله ومدلج . ومانع .

وإبراهيم أرث حمد وناصر ومحمد وعثمان ، وآخر ذرية إبراهيم بن محمد أحمد ، وانقرضوا . وكذلك مانع ومدلج انقرضوا .

وأما عبد الله بن محمد بن حمد بن محمد بن الجد إبراهيم فأولاده أربعة :

عثمان – الذي قتله أخوه خضير – وحمد العقيم ، وناصر وخضير ، وانقرضوا أيضاً إلا ذريّة القتيل فإنه أعقب عبد الله ، وهو الآن باق – سلمه الله تعالى – وقت التاريخ ، لاستهلال سنة ١٢٥٥ . وله طفلين (؟) ولابنه الذي توفي طفل وممن يلحق آل محمد : عبد الله الملقب أبو بايشلق (بايشاقق) وابن ناجم ، وانقرضوا .

وأما مانع بن محمد بن الجد الأكبر إبراهيم فذريته آل المعيبي (آل المعي) .

وأما إبراهيم بن محمد بن الجد إبراهيم فأرث مانع (؟) ومانع أرَّث إبراهيم وعثمان ومحمد .

وإبراهيم بن مانع المذكور أرَّثَ عودة الذي قتله أهل العارض ومانع ومحمد .

وعودة أرَّث إبراهيم ومحمد ، وإبراهيم أرث عودة وعبد العزيز ، فيكون عودة الموجود – حال التاريخ – ابن إبراهيم بن عودة بن إبراهيم بن مانع بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الجدّ .

هؤلاء آل محمد ، يجتمعون في محمد .

والموجود منهم : آل حمد بن عبد الوهاب بن حمد ، وآل حمد بن جاسر بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن حسين (١) .

وأما إسماعيل بن إبراهيم بن حمد بن حسين فله من الولد : مانع ، وإبراهيم (٢) . والباقي من ذريتهم اليوم ذُرِّيَّةُ محمد بن إبراهيم بن عون بن إبراهيم بن إسماعيل . وحمد بن عبد الله بن مانع بن إسماعيل .

---

(١) (أ) : وأما عبد الله بن الجدّ إبراهيم فذريته الآن يسمون الحسانا لقب علق بهم وإلا فالحسنية عامة القبيلة كلها يقال أولاد الحسني .

فأعقب عبد الله محمد وأعقب محمد عبد الله الثاني ، وولد لعبد الله حمد أبو عثمان وعبد الوهاب أبو ماضي ومحمد وخضير ، ومحمد أبو زامل وحسين وجاسر ومنصور أبناء لعبد الله أيضاً .

وأم حمد وعبد الوهاب ومحمد ومنصور وجاسر وفاطمة بنت عبد الوهاب بن سليمان ابن علي جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ودخلت سنة خمس وخمسين بعد المأتين والألف والموجود من ذراري من ذكرنا من ذرية عثمان : إبراهيم بن جاسر بن عثمان . وعلي ومنصور ابنا حمد بن جاسر بن عثمان ومن ذرية عبد الوهاب خمسة غلمان أبناء حمد بن ماضي بن عبد الوهاب والباقون انقرضوا .

(٢) في (أ) : وأما إسماعيل بن الجد إبراهيم فأولاده لصلبه مانع وحمد وعثمان ، فأما مانع فاتَّسعت له الدنيا . وملك في حَرمة عقارات كثيرة ، وقفْنَا على أسمائها في وثيقة له موقِّف جميع عقاراته وذلك قبل أن يولد ابنه عبد الله ، ووقت التوقيف سنة ثمانين بعد الألف والوثيقة عندنا بخط القاضي أحمد بن محمد التُّويجري وذكر أنه نقل من خط عبد القادر العديلي ، وذكر عبد القادر أنه نقله من خط العالم القاضي محمد بن عبد الله بن محمد بن سيف وهو عالم مشهور في زمنه وصورة ترجمة الوثيقة (السبب الداعي لتحريره) هو أن المكلف العاقل الرشيد مانع بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسين بن مدلج قد وقَّف وحبَّس عقاراته الكائنة في القرية المسماة حَرْمة وهُنَّ حائطه المعروف بالعميري ، وحائطه المسمى بالعمادية والمسمى فيْد سُلَيّم ، وأرضه المعروفة بطالعة المويسية ، وداره المعروفة بعقدة حرمة ، ومخزنه - الذي يلي دار أخيه حمد - وذكر فيها أن الوقف على ابنتيه فايزة وشايعة ومن سيولد له بعد ، للذكر مثل حظ الأنثيين، ثم على أولادهما وأولاد من سيوجد من ولده فإن انقرضوا صرف للمستحق=

منهم ضاحي بن محمد بن عَوْن بن إبراهيم بن إسماعيل التاجر المشهور المتوفي في بلد بمبي من بلاد الهند سنة ١٢٦٠ (١) .

= من إخوته عبد الله وحمد وعثمان وأولادهم وذكر أيضاً شقوص (؟) تابعة العقارات المسماة هذا ما اختصرنا منها فاستفدنا منها أموراً منها تحقق النسب ، ومنها معرفة أبناء إسماعيل أنهم أربعة ومنها تقدم غراس حرمة لأن أملاكه التي ذكر مملوكة قبله وبالغة أشدها كما سميت بملاكها .

وقد ذكروا (؟) لنا آل شبانة حمد بن عثمان وأخوه محمد أنهم حرروا عمَّن قبلهم نقلاً نزول إبراهيم بن حسين حرمة في آخر القرن التاسع تقريباً نحو السبعين وثمان مائة . وظهور المجمعة بعد نزول إبراهيم بخمسين سنة لأن الذي اختط المجمعة وسكنها هو عبد الله الشَّمَّري الفارس المشهور ، كان خيَّالاً عند حسين بن مدلج فِداوياً بمنزلة الوزير ، فلما تُوُفِّي حسين أقام مدة عند أولاده ، ثم اختار جانب إبراهيم فانتقل إليه في حرمة فسكن عنده زماناً على حشمة ووقار ، ثم طلب من إبراهيم أن يبرز في منزل على حِدَتِهِ ، يتوسع فيه ويحرث ويغرس هو وذريته ومن التجأ إليه ، فأذن له فأشار على إبراهيم أولاده أن يجعله في هذا الموضع ، ولا يجعله أسفل منهم فيتسع ويكدر عليهم المراعي ، فلما اختط منزله فيها صار من جاء من بني وائل أو غيرهم يريد النزول عند إبراهيم يقول : انزل عند آل عبد الله خوفاً من تضييقهم عليهم في المزارع والمراعي ، وغاب عنهم نظر العواقب من جهة السبيل ، ومن جهة وقوع المشاجرة ، فيما بعده مِمَّا وقع من المحذور . ولنرجع إلى أبناء إسماعيل فنقول : كان مانع المذكور أكثر أبناء الجد إبراهيم عقارات وأثاثاً ، ثم إنه بعد توقيفه عقاراته ولد له عبد الله المشهور ، وقوتُ وعُوَيِّش المشهورة بالجمال والْحُليِّ الكثير ، الذي تضرب به الأمثال . وتدلى عليها عبد الله بن محمد بن مُعَمَّر رئيس العارض المشهور فخطبها وتزوجها وسارت إلى الْعُيَيْنَة معه في هودج وأُبَّهةٍ وموكب حافل . وأمَّا عبد الله بن مانع المذكور فإنه قام مقام أبيه بعد وفاته وازداد بشيء من العقارات منها القويسمي وفَيْد (أبا عود) وأشقاص غيرهن في الفاضلية وفي طالعة عَوْن ، وأوقفهن تبعاً لأبيه على ذريته للذكر مثل حظ الأنثيين ، وكان له من الولد حينئذ فوزان ، وحمد ، وخمس بنات وهُنَّ : لولوة وموضي وقوت وزاهرة وبَنَّا . وكان إيقاف عبد الله أملاكه بخط عبد الله بن عيسى المُوَيس سنة ١١٦٢ وهي سنة الغلا والمحل المعروف بشبة (بتيشة) فيكون بين إيقافه وإيقاف أبيه اثنين وثمانين سنة .

(١) في (أ) : وأمَّا إخوة مانع بن إسماعيل وهم : عبد الله وحمد وعثمان فلهم ذرية انقرضوا مثل مهوس وغيره ولم يبق إلَّا ذرية عون . =

وأما حمد بن إبراهيم بن حسين بن مُدْلِج فهو أبو ناصر وإبراهيم وحسين [١] . ولناصر خمسة أولاد : حمد وعثمان وعبد الله وعون وإبراهيم .

= وعون أبوه حمد بن إسماعيل ، وأرّث عَوْن إبراهيم ، وأرّث إبراهم محمد ، وهو أبو إبراهيم وضاحي وكان لهم عقاراتٌ في البلد مثل جَبْرة وطالعة عون وغيرهما وكان بنو إسماعيل أكثر بني عمهم عقارات .

وكان إسماعيل وأخوه حمد إبنا الجد إبراهيم شقيقين ، دون أخويهما محمد وعبد الله وكان يلتجيء بعض ذريتهم إلى بعض ، ويكونون يداً واحدة على بني عمهم بالموالاة والحمية وكفّ الأذى ، لأن آل حمد أكثر عدداً بالرجال .

ودخلت السنة الخامسة والخمسون بعد المأتين والألف والموجود من آل إسماعيل الركن الشديد ، والحصن المشيد ، الجواد المفيد ، ضاحي بن محمد بن إبراهيم بن عون بن حمد بن إسماعيل وابن أخيه محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عون .

ومن ذرية مانع ولد فرج بن حمد نسأل الله أن يمتع بهم ، وينشيء لهم ذرية الذين ذكرهم الشاعر النبيل حيث يقول :

إذا ما مات ذو علم وتَقْوى　　فقد ثُلِمَتْ من الإسلام ثُلْمَهْ
وموتُ فتي كثيرِ الجود مخْلٌ　　لأن بقاءه خِصْبٌ ونَعْمَهْ
وموت العادِل الملك المُوَلّي　　لأمر الناس جائحَةٌ وَهَضْمَهْ
وموت العابد الأوّاب نَقْصٌ　　ففي لقياه للأرْوَاح نَسْمَهْ
وموت الفارس المقدام وَهْنٌ　　وكم دَفَعَتْ شجاعَتُهُ مُهِمَّهْ
فَحَسْبُكَ خَمْسَةٌ يُبْكى عليهم　　وموتُ الْغَيْرِ تَخْفيفٌ ورَحْمَهْ

وقد فقد بموت الابن السعيد ، الصالح الشهيد أحمد بن ضاحي خيرٌ كثيرٌ ، وفَقَدَه جَمٌّ غفير ، وهو غُصن من شَجَرٍ ، ونهر من بَحر ، فالله يرحم شبابه ، ويخلفه بِعِدَّةٍ من أضرابه والأمر كما قيل :

لعمرك ما الرَّزيَّةُ فَقْدُ مالٍ　　ولا شاةٌ تموتُ ولا بَعيرُ
ولَكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقْدُ شَخْصٍ　　يَمُوتُ بِمَوْتِهِ خلْقٌ كَثيرُ

(١) في (أ) : وأما حمد بن الجد إبراهيم - أحد الأربعة من بنيه - فأعقب ناصر وحسين ومبارك وإبراهيم . وأما إبراهيم فأعقب عبدَ الله الملقب باليابس وانقرض نسله =

فأما حمد فمات ولم يُعقب .

وأما عون بن ناصر فله : إبراهيم قُتِل في مُغيرا .

وأما إبراهيم فله عبد الله اليابس ، الشجاع البوارديُّ المشهور ، ومبارك (١) . وأما عثمان فله : ناصر وحمد وعبد الله (٢) .

= وأما مبارك فلم يبق من نسله إلا سويد الذي من نسله سعدون وناصر ومحمد ، ولهم بقية في البحرين إلى الآن عقاراتهم في حرمة قد درست وانتقلت وهن البذاريات والبديع وما يليهن .

وأما حسين بن حمد فمن ذريته حسين بن عثمان العميم لقباً وأخوه محمد (بياض) محمد وحمد (بياض) العقيل وحمد بن حسين الذي من عياله محمد الحربي وعلي وحسين لقبوا بالحَرْبا لأنهم نشأوا في المدينة وأخوالهم من حَرْب .

(١) في (أ) : وأما ناصر بن حمد فأعقب حمد وعون وعثمان ، وعون أعقب تركي ، وتركي أعقب ناصر الذي قتلوه (؟) آل محمد في مغيرا وانقرضوا .

وحمد بن ناصر لم يعقب ذكوراً وهو الذي غرس الناصرية في حرمة والحويط الذي قريب من العقدة ، وخلف ابنتين غالية وشايعة ، غالية تزوجها ابن عمها ناصرُ بن عثمان ، وولد له منها محمد وعلي. وشايعة تزوجها عبد الرحمن بن عقيل وولد له منها محمد ومريم أم بعض عيال عبد الله بن حسن .

(٢) في (أ) : وأما نسل عثمان بن ناصر بن حمد بن الجد إبراهيم فهم ناصر وعبد الله وحمد .

فذرية حمد لم يبق منهم إلا فوزان ، وعبد الله أعقب عثمان ، يُلقب عبوس ، وعثمان أعقب عبد الله ومحمد الذي تغرب للشمال قبل تدمر حرمة بعدما تزوج شايعة بنت محمد أخت جامع النبذة ، وهو الملقب هناك بمحمد الوايلي ، ثم نشب هناك بعد رِحْلاتٍ وأسفار وطلب أن تَحْدَر عليه زوجته فتلوَّنَ مسيرها وشقت به الغربة فتزوج غالية بنت الفريح العنقري التي بعد محمد بن إبراهيم بن عون ، ثم بعد ذلك حدرت عليه زوجته فأولدها ثلاث بنات وتوفي هناك فاستخرجها أخوها حمد الوايلي إلى نجد ، وكفلها وكفل بناتها حتى زوجهن من أكفائهن ، وهن باقيات حال التاريخ ولهن ذرية . =

ولناصر ستَّةُ أولادٍ : محمدٌ وعليٌّ ، وعبد الله وعثمان وفرَّاجٌ وفوزان (١) .

= وممن أهملنا من ذرية مبارك جد سويد حمد الوايلي الشجاع الشاعر المشهور الذي غاضب رفاقته حين أغضبوه وعتبوا عليه من قبل دخوله حايط سيف الفريجي المسمى بالفاضلية الذي في جنب الناصرية نخل ابن عمه ، وأخذه العناقيد من عنبته هو ومعشر معه ، حين تبعوا طائراً يرمونه فشوه عليه سيف الفريجي وقطع غصون (؟) من العنبة ودخل بها يجُرُّها على حمار وقال : اليوم يتوصَّل للعنبة وبعده على البنات ، واصطفقوا عليه رفاقته حميَّة لجارهم الشَّمَّرى فماج عنهم وانتقل إلى العراق وبعث إليهم قصيدته المشهورة التي أولها :

على الناس دالوبَ الزمان يديرْ ... وخيل الليالي بالفجاة تُغير
ومن عاش في الدنيا ليالٍ كثيرهْ ... سواً ذاك واللي يموت صغير
ومن عاش في الدنيا ولو شبَّ مترف ... فصيُّورها تبحث كداه أخير
ولو كان في حِقٍّ من العاج مُطبَق ... فلا عن مقادير الإله يطير

إلى أن قال :

أنا حمد لابُدَّ ما تذكروني ... إلى طِقّ في بعض المواقف زِيرْ

ثم إن رفاقته حنوا عليه وأمروا شاعرهم المشنق يجاوبه بشِعْرٍ يزْرِيهُ فيه ، يحداه على الظهور فجاوبه بالشعر الذي يقول فيه :

يوم أنتَ في حَوران تَلى مطابخْ ... وأكْلك من خُبْز الهنود خَمِيْر
ونحن نْصالي في سديرٍ قبايلْ ... نعدِّل في مَيْلاتها ونديْر
ونَصبر على أكْل الْهَبِيد وخلْطه ... قصِيْل وعِيْد المحصنات شَعِيرْ

وظهر من رحلته قانص قتل المشنق على غِرَّة فلما قربت الرحلة من حَرْمة سبقهم ، ودخل معلق بندقه وصوت للمشنق في بيته في الليل وقال : غريب مبعوث إليك بغرض ! وقال : ما في الليل قَضي أغراض ولا أفتح بابي في الليل !! فقال : طُل عليّ مع الفرجة أخبرك ، وقد يشم الفتيلة لرميه فانتبه المشنق وقال : إن كان الوايلي حيّ فهو أنت وأنا شاخٌ بعمري ، وتايب عما مضى من أمري ، فلما انتكث أمره عدل إلى المجمعة وأصبح فيها ، فلما علموا رفاقته مشوا إلي وأرضوه ، ورجعوا به معهم إلى حرمة على وقار وحشمة .

(١) في (أ) : وأما ناصر بن عثمان بن ناصر بن حمد بن الحد إبراهيم فأعقب ستة بنين : =

فخلَّفَ محمدُ بن ناصر حَمَد ، وخلف عبدُ الله ناصِرَ .
ولناصر ثلاثة أولاد : عبد العزيز وإبراهيم ومحمد
ولفراج بن ناصر ثلاثة أولاد ، فراج وناصر وزيد .

= محمد وعلي وعبد الله وعثمان وفراج وفوزان .
فمحمد وعلي أمهما غالية بنت حمد بن ناصر .
وعبد الله وعثمان أمهما أخت عثمان بن حمد الحسيني .
وفراج وفوزان أمهما موضي بنت محمد القفيعي .
ولم يعقب منهم ذكوراً إلا ثلاثة : محمد وعبد الله وفرَّاج فأعقب محمد حمد .
وولد لحمد ثلاثة بنين : زامل وناصر وعبد الله .
وأعقب عبد الله ناصر وولد لناصر عبد الله وإبراهيم .
وأعقب عبد الله ناصر موجود حال التاريخ .
وأعقب إبراهيم ناصر وتحته طفل .
وفراج أعقب فوزان وناصر وزيد .
فناصر أعقب عبد العزيز .
وزيد أعقب ثلاثة : فوزان ومحمد وفراج موجودون حال التاريخ .
ودخلت السنة الخامسة والخمسون بعد المأتين والألف والموجود من آل حمد .
ذرية حمد بن الجد إبراهيم خمسة عشر ما بين الصغير والكبير .
حمد وبنوه أربعة .
وزيد وبنوه أربعة .
وناصر بن إبراهيم .
وابن عمه ناصر بن عبد الله .
وعبد العزيز بن ناصر بن فراج .
وابنين لناصر بن محمد بن حسين العميم .
وفوزان بن حمد بن عثمان .
وبني عمهم الذين من ذرية سويد بن مبارك في البحرين مالي بهم خبر حال التاريخ .

وأما فوزان بن ناصر وعثمان بن ناصر فانقطعوا .

ومات محمد بن ناصر أبو كاتب هذه الشجرة سنة ١١٨٢ .

وأما حمد بن عثمان بن ناصر فله ثلاثة أولاد : عثمان وفوزان ومحمد .

وأما حسين بن حمد بن إبراهيم فله : عبد الله وعثمان أبو حسين العُمَيْم .

ولمحمد بن ناصر بن عثمان بن ناصر بن حمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج الملقب بابن لُعْبُون ولدٌ : وهو حمد بن محمد كاتب هذه الشجرة .

ولحمد بن محمد كاتب هذه الشجرة ثلاثة أولاد :

محمد الشاعر المشهور ، المولود في بلد ثادق سنة ١٢٠٥ وقت جَلْوَتِنَا .

وذلك أن عبد العزيز بن محمد بن سعود لما ملك بلد حرمة أمر بهدم بعض بيوتها ، وقطع بعض نخيلها ، وجلا بعضُ أهلها وذلك سنة ١١٩٣ .

وكان ممن جلا حمد بن محمد كاتب هذه الشجرة ، وعمه فراج وأولاده ، وسكنوا في الْقَصَب ، ثم ارتحلوا منها إلى ثادق ، ووُلِدَ الابْنُ محمد بها كما ذكرنا ، وحفظ القرآن . وتعلم الخَطَّ ، وكان خَطُّهُ فائقاً ، وتكلم بالشعر في صغره ، ومدح عُمَرَ بنَ سعود بن عبد العزيز بقصائد كثيرة ، ثم سافر قاصداً بلد الزُّبير ، وهو ابن سبعة عشر سنة . وصار نابغة وقتِهِ في الشعر ، وله أشعار مشهورة عند العامة ، نرجو الله أن يُسَامحه .

= وسويد بن مبارك بنفسه خاله ناصر بن عثمان أبو محمد وفراج .

وأما علي بن ناصر وعثمان بن ناصر فلم يعقبوا (؟) إلا بنات وانقرضوا .

وأما فوزان بن ناصر قتله آل مرّة مع غزو ابن سعود ولم يعقب .

هذا ما أحاط به علمنا من هذه القبيلة وإنما ذكرنا الأطفال وبعض النساء والأصهار تذكرةً وتنبيهاً للحيّ منا ، ولمن يأتي بعدنا ، حفظاً للنسب وكرم المصاهرة ، وتبييناً لمن أراد المواصلة من الأحياء ، ومن بعدهم كما في الحديث : « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم » والله سبحانه أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

ولم يزل هناك إلى أن توفي في بلد الكويت سنة ١٢٤٧ في الطاعون العظيم الذي عَمَّ العراق والزُّبير والكويت ، هلكت فيه حمايل وقبايل ، وخَلَتْ من أهْلها منازل ، وبقي الناس في بيوتهم صَرْعَى لم يُدْفَنوا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فيكون عمره ٤٢ سنة وليس له عقب رحمه الله .

وإخوته زامل وعبد الله ساكنان مع أبيهما في بلد التُّويم ، وذلك أن إبراهيم باشا لما أخذ الدرعية سنة ١٢٣٣ ارتحلتُ أنا والعم فراج من ثادق ، ومعه أولاده ، فسكن العمُّ فراج وأولاده في جَرْمَة ، وأما أنا فسكنْتُ في حَوْطَةِ سُدَيْر ، فلما كان سنة ١٢٣٨ ارتحلتُ بأولادي إلى بلد التُّويم ، وسكَنْتُ فيه وجعلْتُهُ وطناً ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

فهـــرست

تاريخ بن لعبون

مجموعة الرسائل الكمالية

مجموعة رسائل قيمة ونادرة فى بضعة عشر مجلداً

رقم المجموعة

١ — فى المصاحف والقرآن وأصول التفسير .
٢ — فى الحديث وخطأ المحدثين ومصطلح الحديث ١٢ رسالة .
٣ — اثنا عشر رسالة فى العقائد والتوحيد مع قصيدة ملا عمران — ساكن لنجة .
٤ — فى الاجتهاد والتقليد مباحث ورسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن القيم والحافظ السيوطى وشيخ الإسلام الشوكانى .
٥ — فى الجدل والمناظرات بين الفحول من علماء الإسلام وأعلامه .
٦ — فى الأوراق المالية ، والنقود ، والمعاملات الربوية .
٧ — فى ألغاز الإعراب والنحو وعلوم العربية .
٨ — خمسة كتب فى الأنساب وهى : نسب عدنان وقحطان للمبرد . والأنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر. وعمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب لابن عنبة . ورسالة فى مصطلحات النسابين . والنخبة الثمينة فى أشراف المدينة لابن شدقم .
٩ — عدة كتب فى الأنساب ، منها حذف من نسب قريش لمؤرج السدوس ، وطرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب لابن رسول ، ونيل الحسنيين فيمن باليمن من أولاد الحسنين لمحمد زيارة ومختصر الروض البسام فى أشهر البطون القرشية بالشام الأصل لأبى الهدى الصيادى . والمختصر لمحمد سعيد حسن كمال .
١٠ — مجموعة كتب فى المرأة المسلمة منها : « ما ألف عن النساء فى الجاهلية والإسلام » لصلاح الدين المنجد و « كتاب تسمية أزواج رسول الله ﷺ وأولاده » لأبى عبيدة معمر بن المثنى ،

رقم المجموعة

و « حجاب المرأة ولباسها فى الصلاة » لشيخ الإسلام ابن تيمية ، و « حكم النظر إلى النساء للحافظ ابن القيم ، و « حكم النساء فى الإسلام ، وحظهن من التعليم العام » نداء إلى الجنس اللطيف للعلامة السيد / محمد رشيد رضا .

١١ — مجموعة كتب فى اللغة والأدب منها شرح لامية العرب للشنفرى وشرحها للزمخشرى والمقصور والممدود لابن دريد وديوان ابن الوردى ورسائله وديوان ابن الخشاب .

١٢ — فى الملح واللطائف ويشمل مقدمة ضافية عن الجنون وماهيته وتاريخه للدكتور أسعد الحكيم وكتاب عقلاء المجانين للنيسابورى والتطفيل والطفيليين للخطيب البغدادى ، والمراح فى المزاح للغزى .

١٣ — مجموعة الرسائل الكمالية رقم (١٣) أربعة كتب فى المواريث والمناسخات ويشمل شرح خلاصة الفرائض وهى نظم السراجية الأصل للسجاوندى والنظم للبتينى . ونظم المقربة وشرحها للبتينى أيضاً وتدريب المبتدى وتذكرة المنتهى للشيخ عليش والسبيكة الذهبية على المنظومة الرحبية للشيخ فيصل بن مبارك رحمه الله .

١٤ — مجموعة الرسائل الكمالية رقم ١٤ فى الأصول .

١٥ — عدة رسائل فى علم الفلك وحساب المزارعين .

١٦ — فى الطب ويشمل : كتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجه وشرحها عمل تلميذه الشيخ محمد بن يوسف البرزالى ، وغيره .

(تحت الطبع)

وبالمكتبة كثير من كتب التراث القيمة ومن المصاحف النادرة ذات الطبع الممتاز على اختلاف الأحجام والأشكال .

ومن مطبوعاتها :

ومن الكتب والرسائل

رقم التسلسل

١ – متن عمدة الأحكام لابن دقيق العيد .
٢ – متن عمدة الفقه للمقدسى .
٣ – متن زاد المستقنع للشيخ شرف الدين أبى النجا .
٤ – شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم .
٥ – الأزهار النادية من أشعار البادية صدرت حتى الآن فى ١٧ جزءاً .
٦ – الشجرة ذات السياج الشوكى « ديوان المرحوم عمر عرب » وما قيل فيه
٧ – الأحاجى والألغاز الأدبية ، تأليف الشيخ عبد الحى كمال .
٨ – حروف المعانى للشيخ عبد الحى كمال .
٩ – الفكاهة والمجون فى الوطن العربى ، جزآن تأليف الأستاذ حسين كمال .
١٠ – المحاسن الخطية إشراف الأستاذ حسين حسن كمال .
١١ – المشرع من المجمع أو تهذيب مجمع الأمثال للميدانى . تأليف الشيخ أحمد فهمى محمد المحامى الشرعى بالجيزة .
١٢ – الإنشاء فى المراسلات والوثائق محمد سعيد حسن كمال .
١٣ – الأمالى فى جميع أحوال الهمزة والألف اللينة لمحمد سعيد حسن كمال .
١٤ – استشهاد الحسن للحافظ ابن كثير ويليه رأس الحسين لشيخ الإسلام ابن تيمية .
١٥ – قرة العيون بأخبار الملك الميمون لابن الديبع .
١٦ – بلوغ المرام للحافظ ابن حجر .
١٧ – رياض الصالحين للنووى .

رقم التسلسل

١٨ - أهم الأحكام - مجموعة تحوى منسك شيخ الإسلام ابن تيمية ومنسك ابن الأمير الصنعانى وقصيدة فى ذكرى الحج وبركاته ودعاء ختم القرآن .

١٩ - مسائل الجاهلية وشرحها للألوسى .

٢٠ - الإسراء والمعراج لابن هشام مع شرحه للسهيلى .

٢١ - الارتسامات اللطاف فى خاطر الحاج إلى أقدس مطاف مجلد للأمير شكيب أرسلان وهى رحلته إلى مكة والطائف وضواحيه .

٢٢ - الدخينة فى نظر طبيب للدكتور دانيال . هـ . كرس وترجمة الزهرة .

٢٣ - ما رأيت وما سمعت للأستاذ خير الدين الزركلى رحمه الله .
وهى رحلته من دمشق إلى مكة ثم الطائف وضواحيه فى العهد الهاشمى وتعد جزءاً من تاريخ الطائف .

٢٤ - عامان فى عمان للأستاذ خير الدين الزركلى .

٢٥ - إيقاظ همم أولى الأبصار فى الاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار للفلانى .

٢٦ - أبطال من الصحراء : وهى تمثل أروع قصص البطولة والكرم والشجاعة فى جزيرتنا العربية بقلم الأمير محمد بن أحمد السديرى .

٢٧ - الحب الخالد « قيس وليلى » أروع قصص الحب العذرى بأسلوب ممتع بليغ .

٢٨ - كتاب الكبائر للذهبى مع تعليق نفيس عليه .

٢٩ - كتاب علوم الحديث للنيسابورى وهو كتاب قيم لا يستغنى عنه طالب علم .

٣٠ - « السفينة » مجموع أدبى من الشعر الملحون وبعض الفصيح للأغانى القديمة وبعض الحديثة . جمع وتأليف أنس كمال .

٣١ - الرحلة الحجازية تأليف محمد لبيب البتنونى ..

٣٢ - مواسم الأدب وآثار العجم والعرب للبيتى .

٣٣ - تاريخ الشعراء الحضرميين خمسة أجزاء للسيد محمد حامد السقاف .

رقم التسلسل

٣٤ - شرح ديوان البرعى مع التنبيهات على ما فيه من مآخذ .
٣٥ - شرح عدة الحصن الحصين لابن الأثير الجزرى .
٣٦ - عنوان الشرف الوافى ، فى النحو والفقه والتاريخ والعُروض والقوافى للعلامة ابن المقرى . وهو الكتاب الفريد الذى يقرأ من عدة جهات .
٣٧ - التحبير من علم التفسير للجلال السيوطى .
٣٨ - جوامع السيرة لابن حزم .
٣٩ - من وصايا الرسول خمس وخمسون وصية ، جمع حمزة محمد صالح عجاج .
٤٠ - الصوفية معتقداً ومسلكًا للدكتور طعيمة .
٤١ - إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه .
٤٢ - نشر اللطائف فى قطر الطائف لابن عراق .
٤٣ - تحفة اللطائف فى فضائل الحبر بن عباس ووج والطائف لابن فهد .
٤٤ - إهداء اللطائف من أخبار الطائف للعجمى ت . د . الساعاتى .
٤٥ - بهجة المهج فى بعض فضائل الطائف ووج للميورقى ت . د . إبراهيم الزيد .
٤٦ - الطائف فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام ت . د . نادية صقر .
٤٧ - الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية د . عبد الجبار العبيدى .
٤٨ - الطائف وأسماء أسره القديمة وبعض عاداتهم . تأليف الشيخ عبد الحى كمال .
٤٩ - قبائل الطائف وأشراف الحجاز . تأليف : الشريف محمد بن منصور بن هاشم .
٥٠ - أبو نواس فى تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه : تأليف ابن منظور المصرى .

رقم التسلسل

٥١ – سلطان الغرام حب وعشق وهيام . تأليف : السيد أحمد بك الهاشمى .
٥٢ – ديوان مبيتات وموشحات . محمد بن عبد الله شرف الدين المعروف بالحمينى .
٥٣ – كنز الأنساب ومجمع الآداب : تأليف حمد بن إبراهيم الحقيل .
٥٤ – المنتخب فى ذكر أنساب قبائل العرب . تأليف عبد الرحمن الطائى .
٥٥ – أسباب النزول للسيوطى .
٥٦ – الروح لابن القيم .
٥٧ – حادى الأرواح لابن القيم .
٥٨ – الأذكار للنووى .
٥٩ – الطب النبوى لابن القيم .
٦٠ – عدة الصابرين لابن القيم .
٦١ – طريق الهجرتين لابن القيم .
٦٢ – تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة .
٦٣ – مفتاح دار السعادة لابن القيم .
٦٤ – الفوائد المشوق لابن القيم .
٦٥ – تحفة المودود بأحكام المولود . لابن القيم .
٦٦ – الفوائد لابن القيم .
٦٧ – سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب للسيد محمد أمين السويدى .
٦٨ – ابن حزم وكتابه طوق الحمامة لـ د . أحمد الطاهر المكى .
٦٩ – ديوان الصبابة لابن أبى حجلة التلمسانى .
٧٠ – سحر العيون لأحد تلامذة الشهاب الحجازى .

رقم التسلسل

٧١ - فضائل أمير المؤمنين على بن أبى طالب للنسائى ويليه فضائل معاوية ابن أبى سفيان لابن حجر الهيتمى ويليه رسالة لابن تيمية فى يزيد ابن معاوية .

٧٢ - نظام الطلاق فى الإسلام - للشيخ أحمد محمد شاكر .

٧٣ - المعمرون من العرب ونوادر أخبارهم لأبى حاتم السجستانى رحمه الله .

٧٤ - القرآن وغرائب رسمه - للشيخ محمد طاهر كردى الخطاط .

٧٥ - شرح الأربعين النووية - ابن دقيق العيد .

٧٦ - فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب ... محمد بن خلف المرزبان .

٧٧ - هداية الحيارى ... ابن القيم .

٧٨ - كشف الشبهات ... شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

٧٩ - الموجز فى تاريخ الطائف قديما وحديثا ... مناص ضاوى الثقامى .

٨٠ - تاريخ مكة عبر العصور حتى العصر الحاضر تأليف عبد الفتاح راوه .

٨١ - إعراب « واذكر فى الكتاب إسماعيل » محمد سعيد حسن كمال .

٨٢ - دليل الحيران فى الإرشاد على مواضع آى القرآن .

٨٣ - نبراس العقول فى تحقيق القياس عند علماء الأصول - الشيخ عيسى منون .

٨٤ - تاريخ ابن لُعبون .

٨٥ - مأساة الشاعر وضاح اليمن - للأستاذين محمد بهجة الأثرى وأحمد حسن الزيات .

٨٦ - سليمان الحلبى قصته مع الاستعمار وقتله كليبر .

* * *